

معرفة الخصال المحبطة للأعمال

إعداد

أحمد عبد الرحمن

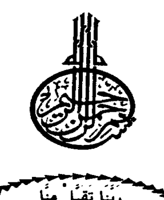






مُحبطاتُ الأعمال

معرفة الخصال المحبطة للأعمال



رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

رقم الإيداع
٢٠٠٧/٨٨٢٥

الترقيم الدولي
977/331/450/2



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٠٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله العلي القدير، كريم العطاء جزيل الأجر، وصلاة وسلامًا على خاتم الأنبياء والمرسلين، وأول شفيع للمسلمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ لقد كان سلفنا الصالح - رضي الله عنهم جميعًا - مع زهدهم وعبادتهم وقربهم من الله تعالى، وعلمهم بسعة رحمة الله، يخافون ألا يتقبل الله منهم، قال الله تعالى: ﴿ **والَّذين يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ راجِعُونَ** ﴾ (المؤمنون: ٦٠)، أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصروا بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط.

روى الإمام أحمد عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله،

الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة: هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ؟ قال: «**لا يا بنت الصديق، ولكن الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ**»[1].

ـ وعند البخاري: «**هم الذين يصومون ويتصدقون ويخشون الا يتقبل منهم**».

والمرويات عن السلف في ذلك كثيرة، مما يدل على إخلاصهم وخوفهم من الله تعالى وعليه فإنه من الأمور الخطيرة، والتي ينبغي التنبيه عليها مسألة ردة العمل أو حبوط الأعمال، وهذه المسألة بين الله تعالى خطرها وعظم شأنها، وضرب لذلك مثلاً في سورة البقرة، فقال تعالى: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ**

---

(١) رواه الترمذي.

تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٦٦). كما قال تعالى ﴿ وتلك الأمثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُون ﴾ (العنكبوت: ٤٣)

وفي صحيح البخاري عن عبيد بن عمير - رحمه الله - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ضرب الله مثلاً لعمل»، قيل: أي عمل؟ قال: «لعمل رجل كان يعمل بطاعة الله ثم أحرق الشيطان عمله».

وهذه بعض الأسباب المؤدية إلى حبوط العمل، نسأل الله السلامة.

كتبه

أحمد عبد الرحمن



أولاً. أكبر الكبائر: الشرك بالله

وهو الداء الخبيث، والمرض القاتل لا محالة، إلا أن يتوب صاحبه، ومن تاب تاب الله عليه. قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر ٦٥)

• وتتسع مظاهر الشرك بالله وتتجلى واضحة عند (عباد القبور)، فإن إبليس لما تمكن من هؤلاء الجهلة ورطهم في الشرك وساقهم سوق البهائم. وقد لعن الله تعالى من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يُصلى فيها، فكيف بمن اتخذ القبور أوثانًا يعبدها، ويدع صاحبها من دون الله؟! قال تعالى: ﴿ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ (الحج: ١٢-١٣).

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله

اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، لما فيه من المغالاة في التعظيم، وفي رواية: **«ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»**.

قال ابن القيم صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك، وتجريدًا وغضبًا لربه أن يعدل به سواه.

وإذا كانت أنواع الشرك تتركز في شرك العبادة، وشرك الأقوال والأفعال، وشرك الإرادات والنيات (كمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه)، فإنه أكثرها انتشارًا هي شرك الأقوال والأفعال. قال تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً** ﴾ (الإسراء: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء: ٤٨)، وليعلم المسلم أن الشرك بالله تعالى لا تقوم أمامه قائمة من عمل أبدًا؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (الأنعام: ٨٨).

زيارة القبور وأنواعها

قال الشيخ عبد الله بن بليهد ـ رئيس القضاء في زمانه ـ في الخطاب الذي ألقاه في الاجتماع الذي عقد بين علماء نجد وعلماء مكة المكرمة، قال ـ رحمه الله ـ: واعلموا أن زيارة القبور على ثلاثة أنواع: شرعية، وبدعية، وشركية. ثم عرفها وفصلها:

١ ـ الزيارة الشرعية: هي التي القصد منها تذكر الآخرة، والدعاء للميت، واتباع السنة[١].

٢ ـ الزيارة البدعية: هي التي القصد منها عبادة الله عند القبور، كما يفعله كثير من الناس، لظنهم أن للعبادة عندها مزية على العبادة في المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله، وقد صح عن النبي ﷺ في عدة أحاديث النهي عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد.

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فالسنة أن يسلم على الميت ويدعو له.

٣ ـ الزيارة الشركية: هي التي القصد منها تعظيم القبور ودعاؤها، أو الذبح لها، أو النذر لها، أو غير ذلك من العبادات التي لا تصلح إلا لله.

فهذا حقيقة الشرك، والأدلة عليه كثيرة جدًا، ولكن لغلبة الجهل وخفاء العلم وبعد العهد بإرشاد النبوة، التبس الأمر على أكثر الناس، وخفي عليهم ما هو في غاية الوضوح، لضعف البصائر وغلبة العوائد، كم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه. **«إنما تُنقض عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».**

فإن من لم يعرف الشرك وما ذمه القرآن وعابه، وقع فيه وهو لا يدري[1] اهـ.

خلاصة الخلاصة: فإن عباد القبور صرفوا لغير الله تعالى جميع ما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ من

---

(١) رسالة: «البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة المكرمة ونجد في عقائد التوحيد».

الشعائر والعبادات التي لا يعظم بها إلا الله وحده قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم باللَّه إلاَّ وهُم مُشْرِكُون ﴾ (يوسف: ١٠٦)، وقال أيضًا: ﴿ ومنْ أراد الآخرة وسعى لها سعيها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإسراء: ١٩).

﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ لأن الكفر و الشرك لا يصلح معهما أي عمل قط، ودليله ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن عبد الله بن جدعان، وكان رجلاً مشركًا مات في الجاهلية، يطعم الطعام، وينصر المظلوم، وله من أعمال البر الكثير، فقال ﷺ: «ما نفعه ذلك، إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

إن من سنن الله تعالى التي لا تتغير أن الله لا يقبل من عباده عملاً إلا أن يأتوا بالتوحيد، الذي هو حق الله على العبيد، ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال. كنت رديف النبي ﷺ على دابته، فقال: «يا معاذ»، فقلت لبيك رسول الله وسعديك، فقال «يا معاذ بن جبل»،

قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فعاد الثالثة، فقلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: «اتدري ما حق الله على العباد؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: «حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا». وما كرر النبي ﷺ النداء إلا لأمر عظيم، ينبغي ألا يغفل الناس عنه؛ لأنهم ما خلقوا إلا لعبادة الله تعالى؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، أي إلا ليوحدون. وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «نذير بالتوحيد ونذير عن الشرك».

كذلك في أمر الشفاعة يوم القيامة، فهي خاصة بأهل التوحيد الذين خلصوا أنفسهم من دنس الشرك، ودليله ما رواه أحمد في سنده من حديث أبي موسى، ورواه الترمذي وابن حبان عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قال: «آتاني آت من عند ربي، فخيرني بين امرين: ان يدخل

نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا».

روى الإمام أحمد من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، وذكره ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم**﴾ (البقرة: ٢١)، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا - عليهما السلام -، أني أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن تأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فجمع يحيى بن زكريا - عليهما السلام - بني إسرائيل وقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأن آمركم أن تعملوا بهن، وأولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله من ذهب أو من ورق، فجعل العبد يعمل ويؤدي نتاج عمله إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟**».

فيا أخي الحبيب: إياك أن تشرك بالله ربك الذي خلقك فسواك فعدلك، وهو الذي أطعمك ورزقك وأعطاك

ومنحك، وهو الذين بيده كل شيء وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

قال تعالى ﴿ **أفحسب الَّذين كفرُوا أن يتَّخذُوا عبادي من دوني أولياء إنَّا أعتدْنا جهنَّم للْكافرين نُزُلاً** ﴾ (الكهف: ١٠٢).

- في تفسير السعدي: وهذا برهان وبيان بطلان دعوى المشركين الكافرين، الذين اتخذوا بعض الأنبياء والأولياء شركاء لله يعبدونهم، ويزعمون أنهم يكونون لهم أولياء، ينجونهم من عذاب الله وينيلونهم ثوابه، وهم قد كفروا بالله وبرسوله.

يقول الله لهم على وجه الاستفهام والإنكار المتقرر بطلانه في العقول: ﴿ **أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ** ﴾ أي: لا يكون ذلك ولا يوالي وليُّ الله، معاديًا لله أبدًا، فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه وسخطه وبغضه، فيكون على هذا المعنى مشابهًا لقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠)**

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ﴾ (سبأ: ٤٠-٤١). فمن زعم أن يتخذ ولي الله وليًا له وهو معادٍ لله فهو كاذب.

ويحتمل ـ وهو الظاهر ـ أن المعنى: أفحسب الكفار بالله المنابذون لرسله أن يتخذوا من دون الله أولياء ينصرونهم وينفعونهم من دون الله ويرفعون عنهم الأذى؟ هذا حسبان باطل وظن فاسد، فإن جميع المخلوقين ليس بيدهم من النفع والضر شيء ويكون هذا كقوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴾ (الإسراء:٥٦)، ﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ﴾ (الزخرف:٨٦). ونحو ذلك من الآيات التي يَذكر الله فيها أن المتخذ من دونه وليًا ينصره ويواليه ضال خائب الرجاء، غير نائل لبعض مقصوده. اهـ.

﴿ كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (مريم: ٨٢) أي: ليس الأمر كما زعموا، ولا يكون ما طمعوا، بل ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾

أي: بخلاف ما ظنوا فيهم وما رجوا منهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ (الأحقاف: ٥-٦).

﴿ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: مدة مقامه في الدنيا، لا ينتفع به مثقال ذرة، ﴿ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ لا يسمعون منهم دعاء ولا يجيبون لهم نداءً، هذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشرككم. ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً ﴾ يلعن بعضهم بعضًا ويتبرأ بعضهم من بعض.

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار»[1]. ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار».

---

(١) رواه البخاري.

قال تعالى: ﴿ فَلا تَجْعَلُوا للَّه أَندَادًا وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

(البقرة: ٢٢)

قال ابن عباس في الآية: «الأنداد هو الشرك، أخفي من دبيب النمل على صفاة سوداد في ظلمة الليل، وهو زن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتي اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك».

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لا تقولوا ما شاء الله وفلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»**[1].

وجاء عن إبراهيم النخعي: «أنه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك»، قال: «ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان».

---

(١) رواه أبو داود بسند صحيح.

مظاهر أخرى للشرك بالله

١ ـ الحلف بغير الله:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من حلف بغير الله فقد كفر (أو) أشرك»**[1].

وقال ابن مسعود: **«لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا»**.

٢ ـ التعلق بتميمة لرفع البلاء:

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ**﴾ (الزمر: ٣٨).

ولأحمد عن عقبة بن عامر مرفوعا: **«من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعةً فلا ودع الله له»**، وفي رواية: **«من تعلق تميمة فقد أشرك»**.

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

ولابن أبي حاتم عن حذيفة: «أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾. (يوسف:١٠٦).

- **«فلا ودع الله له»** أي: لا جعله الله في دعة وسكون، بمعنى لا خفف الله عنه ما يخافه.

٣- الرقى والتمائم:

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً: **«ان لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر**[١] **إلا قطعت»**.

- وعن عقبة بن نافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«من علق تميمة فقد أشرك»**[٢].

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«إن الرقى والتمائم والتِّوَلَةَ شرك»**[٣].

---

(١) **الوتر:** حجاب ما بين المنخرين.

(٢) رواه أحمد والحاكم. (٣) رواه أحمد وأبو داود.

ـ وعن عبـد الله بن عكيم مرفـوعًا: «**من تعلق شيئًا وُكِلَ إليه**»[1].

التمائم: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين.

والرقى: هي التي تسمى العزائـم. وخص منها الدليل ما خـلا من الشرك، فـقد رخص فـيه رسـول الله ﷺ من العين والحُمة.

والتولة: هي شيء يصنعـونه يزعمون أنه يحـبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته. وروى أحمد عن إبراهيم بن أدهم قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن».

٤ ـ الذبح لغير الله:

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ** ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، وقال: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ (الكوثر: ٢).

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

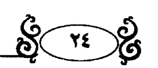
عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «**لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض**»[1].

«**من غير منار الأرض**»: وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**مر رجلان على قوم لهم صنم لا يَجُوزُهُ أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا فخلوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله - عَزَّ وجَلَّ -، فضربوا عنقه فدخل الجنة**»[2].

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه أحمد.



- **ولا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله:**

لقوله تعالى: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ (التوبة: ١٠٨).

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ؟ فقال: **«هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟»** قالوا: لا، قال: **«فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟»**، قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: **«أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»**[(١)].

٥ ـ النذر لغير الله:

قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ (الإنسان: ٧). وقال: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ (البقرة: ٢٧).

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»**.

---

(١) رواه أبو داود.

٦ ـ الاستعاذة بغير الله:

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (الجن: ٦).

في تفسير ابن كثير: أي كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس، لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشاً من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا: أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى بقوا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوذًا بهم، كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة، أو خوفًا.

وفي تفسير السعدي: أي كان الإنس يعوذون بالجن، عند

ا

---

(١) رواه مسلم.

لمخاوف والأفزاع ويعبدونهم، فزاد الإنس الجن رهقًا، أي: طغياناً وتكبرًا، لما رأوا الإنس يعبدونهم، ويستعذون بهم.

ويحتمل أن الضمير وهو «الواو» يرجع إلى الجن، أي: زاد الجن الإنس ذعرًا وتخويفًا لما رأوهم يستعيذون بهم، ليلجئوهم إلى الاستعاذة بهم، والتمسك بما هم عليه، فكان الإنسي إذا نزل بوادٍ مخوف، قال: «أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه»..

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتي يرحل من منزله ذلك»**[1].

من نزل منزلاً (وفي رواية: إذا نزل أحدكم منزلاً): مظنة للهوام والحشرات ونحوها مما يؤذي:

- (فليقل): ندبًا لدفع شرها.
- (أعوذ): أي أعتصم.

---

(١) رواه مسلم.

- (بكلمات الله): أي صفاته القائمة بذاته التي بها ظهر الوجود وبعد العدم، وبها يقول للشيء كن فيكون.

- قال القرطبي: خبر صحيح، وقول صادق، فإني منذ سمعته عملت به فلم يضرني شيء ... فتركته ليلة، فلدغتني عقرب.

٧ ـ الاستغاثة والدعاء بغير الله:

قال تعالى: ﴿ **وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ** ﴾ (يونس: ١٠٦-١٠٧)، وقال: ﴿ **فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ** ﴾ (العنكبوت: ١٧)، وقال: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ (الأحقاف: ٥)، وقال: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾ (النمل: ٦٢)، وقال: ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** ﴾ (فاطر: ١٣).

والقطمير: هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة، أي لا

يملكون من السموات والأرض شيئًا ولا بمقدار هذا القطمير.

روى الطبراني بإسناده أنه كان في زمان النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله».



ثانيا - الكفر بآيات الله ولقائه

من محبطات الأعمال؛ لأنها على غير أساس، فقد فقدت هذه الأعمال شرط قبولها، وهو الإيمان بآيات الله الدالة على صحة ما أرسل به الرسل، والتصديق بجزائه - سبحانه وتعالى -، فإنها أعمال من لا يؤمن باليوم الآخر ولا يرجو فيها ثوابًا، وليس لها غاية تنتهي إليها، فلذلك اضمحلت وبطلت.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا** ﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٥).

﴿ **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ أي عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة، وهم يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾ أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقامها على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة.

﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ أي لا تثقل موازينهم لأنها خالية من كل خير.

وفي البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»**. لأن الوزن فائدته مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم لعدم شرطها وهو الإيمان.

كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴾ (طه: ١١٢)، لكن تعد أعمالهم وتحصى، ويقررون بها ويخزون بها على رؤوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها، ولهذا قال: ﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ ﴾ أي: حبوط أعمالهم وأنه لا يقام لهم يوم القيامة وزن، لحقارتهم

وخستهم بكفرهم بآيات الله واتخاذهم آياته ورسله هزواً يستهزؤون بها ويسخرون منهم، مع أن الواجب في آيات الله ورسله الإيمان التام بها والتعظيم لها، والقيام بها أتم القيام، وهؤلاء عكسوا القضية، فانعكس أمرهم وتعسوا وانتكسوا في العذاب.

وكما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف:١٤٧)، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ (الروم:١٦)، وقال أيضًا: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس:٤٥)، ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة:٥)، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (العنكبوت:٢٣)، أي الذين جحدوا وكفروا بالمعاد لا نصيب لهم من رحمة الله ولهم عذاب موجع شديد في الدنيا والآخرة.

كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد:٢٨).

﴿ ذَلِكَ ﴾ العذاب الذي استحقوه ونالوه، ﴿ بِـ ﴾ سبب ﴿ أَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ ﴾ من كل كفر وفسوق وعصيان، ﴿ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه ولا يدنيهم منه، ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي: أبطلها وأذهبها، وهذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته ويضاعف له أجره وثوابه.

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد:٨-١١).

وأما الذين كفروا بربهم ونصروا الباطل ﴿ فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾، فإنهم في تعس، أي انتكاس من أمرهم وخذلان.

وقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «تعس عبد الدنيا وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ..»[(1)].

أي فلا شفاه الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ.

﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي: أبطل أعمالهم وأحبطها، وهي التي يكيدون بها الحق فرجع كيدهم في نحورهم، وبطلت أعمالهم التي يزعمون أنهم يريدون بها وجه الله.

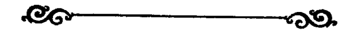
ذلك الإضلال والتعس للذين كفروا بسبب أنهم ﴿ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ من القرآن الذي أنزله صلاحًا للعباد وفلاحًا لهم، فلم يقبلوه، بل أبغضوه وكرهوه ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ هؤلاء المكذبون بالرسول ﷺ ﴿ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب، فإنهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة إلا وجدوا من كان قبلهم قد بادوا وهلكوا، واستأصلهم التكذيب والكفر فخمدوا ودمر الله عليهم أموالهم وديارهم،

بل دمر أعمالهم ومكرهم، وللكافرين في كل زمان ومكان أمثال هذه العواقب الوخيمة والعقوبات الذميمة.

وأما المؤمنون، فإن الله تعالىٰ ينجيهم من العذاب، ويجزل لهم كثير الثواب.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من احب لقاء الله احب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**، فقلت: يا رسول الله، أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ قال: **«ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته احب لقاء الله، فاحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»**[1].



(١) رواه القضاعي عن أبي هريرة.

ثالثًا- كراهية ولو بعض ما أنزل الله

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٩)، فكراهية شي من شرع الله تعالى وهدي نبيه الأمين، محبط للعمل، كالذين يعتقدون أن الشرع لا يصلح في هذه الأزمنة ويرون بعض أحكامه جمودًا ورجعية.

قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ٨٥)، وفيها دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر كلها واجتناب جميع النواهي.

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب: ٣٦)، فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول.

فلا ينبغي ولا يليق من اتصف بالإيمان إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه وبين أمر الله ورسوله.

وفي الحديث: **«والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»**[1] (ذكره ابن كثير في تفسيره).

ولقد قاتل أبو بكر الصديق ﷺ مانعي الزكاة، لموافقة الصحابة إياه على شيئين: أحدهما ـ الكفر، والآخر ـ منع الزكاة. وذلك لأن هؤلاء المرتدين امتنعوا من قبول فرض الزكاة ومن أدائها، فانتظموا به معنيين:

أحدهما ـ الامتناع من قبول أمر الله تعالى، وذلك كفر.

والآخر ـ الامتناع من أداء الصدقات المفروضة في أموالهم إلى الإمام، فكان قتاله إياهم للأمرين جميعًا، ولذلك قال: **«لو منعوني عقالاً ـ وفي بعض الأخبار: عناقًا ـ مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه»**[1].

---

(١) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

رابعًا- النفاق وما ينجم عنه

مِن أمـراض القلب، التي تجعـل المنافقين أشـحاء، قـد جمـعوا بهـا الجبن والبخل والكـذب وقلة الخيـر . . أيضًا حرص هؤلاء على الدنيـا يجعلهم يتزرعون بأسـباب واهية ليولون الأدبار.

قال تـعالى في سـورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ (الأحزاب: ١٢)، وقال: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً ﴾ (الأحزاب: ١٥)، وقال: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (الأحزاب: ١٩).

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ بأبدانهم عند القتال، وبأموالهم عند النفقـة فيه، فـلا يجاهدون بأموالهم وأنفـسهم ﴿ كَالَّذِي

﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: نظر المغشي عليه من ﴿الْمَوْتِ﴾ من شدة الجبن الذي خلع قلوبهم، والقلق الذي أذهلهم، وخوفًا من إجبارهم على ما يكرهون من القتال، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وصاروا في حال الأمن والطمأنينة ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أي: خاطبوكم وتكلموا معكم بكلام جديد ودعاوى غير صحيحة وحين تسمعهم تظنهم أهل الشجاعة والإقدام.

﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ الذي يراد منهم، وهذا شر ما في الإنسان، أن يكون شحيحًا بما له أن ينفقه في وجهه، شحيحًا في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحًا بجاهه شحيحًا بعلمه ونصيحته ورأيه.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين بتلك الحالة ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ بسبب عدم إيمانهم، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

* وأما المؤمنون، فقد وقاهم الله شح أنفسهم ووفقهم لبذل ما أمروا به من بذل أبدانهم في القتال في سبيله وإعلاء كلمته، وأموالهم للنفقة في طرق الخير وجاههم

وعلمهم. ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول منكرًا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧).

✍ في تفسير السعدي: ﴿بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضًا، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ فلا يذكرونه إلا قليلاً، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ من رحمته، فلا يوفقهم لخير ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار خالدين فيها مخلدين.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ حصر الفسق فيهم؛ لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم والإحتراز منهم شديد.

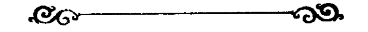
ثم يخبر تعالى بقوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨) كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (التوبة: ٦٨-٦٩).

يقول تعالى واصفًا حال المنافقين بعد أن جمعهم بالكفار[(١)] في نار جهنم، واللعنة والخلود في ذلك؛ لاجتماعهم في الدنيا على الكفر والمعاداة لله ورسوله والكفر بآياته، يقول: إن كحال ـ أيها المنافقون ـ كما أمثالكم ممن سبقوكم إلى النفاق والكفر، وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أحوالاً وأولادًا، استمتعوا بما قدر لهم من حظوظ الدنيا وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه وقابلوا أنبياءهم

---

(١) كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ الآية (الحشر: ١١).

بالاستخفاف، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم، وقد استمتعتم بما قدر لكم من ملاذ الدنيا كما استمتعوا وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر والباطل. إنهم لذلك قد بطلت أعمالهم ومساعيهم، فلا ثواب لهم عليها، فلم تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة، وكانوا هم الخاسرين، وأنتم مثلهم في الحال والمآل والعاقبة الوخيمة.



خامساً ـ الشح أعظم الظلم

الحاصل أن الشح من جميع وجوهه يخالف الإيمان، كما قال تعالى: ﴿**أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾ (الأحزاب: ١٩).

* ومن ثم، ورد أنه لا يجتمع الشح والإيمان في قلب أبدًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً**»[١].

* قال الماوردي: وينشأ عن الشح من الأخلاق المذمومة ـ وإن كانت ذريعة إلى كل مذموم ـ أربعة أخلاق، ناهيك بها ذمًا: الحرص، والشره، وسوء الخلق، ومنع الحقوق.

ـ وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح**

---

(١) رواه النسائي والحاكم.

اهلك من كان قبلكم، حملهم ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[(١)] .

«اتقوا الظلم»: بأن يأخذ مال الغير بغير حق، أو التناول من عرضه، ونحو ذلك. قال بعضهم: ليس شيء أقرب إلى تغيير النعم من الإقامة على الظلم. وإنما ينشأ الظلم من ظلمة القلب؛ لأنه لو استنار بنور الهدى تجنب سبل الردى، فإذا سعى المتقون بنورهم الحاصل بسبب التقوى، احتوشت ظلمات ظلم الظالم، فغمرته فأعمته حتى لا يغني عنه ظلمه شيئًا.

«واتقوا الشح»: الذي هو بخل مع حرص أو منع الواجب.

- قال الطيبي: فالبخل مطلق المنع، والشح المنع مع ظلم، وعطف الشح الذي هو نوع من أنواع الظلم، اشعارًا بأن الشح أعظم أنواعه؛ لأنه من نتائج حب الدنيا ولذاتها، ومن ثم وجهه بقوله: **«فإن الشح اهلك من كان قبلكم»** من

---

(١) رواه مسلم.

الأمم، حيث أسالوا دماءهم بالقوة الغضبية بخلاً بالمال، وحرصًا على الاستئثار به.

«واستحلوا محارمهم»: أي استباحوا نساءهم أو ما حرم الله من أموالهم وغيرها، وهذا على سبيل الاستئناف، فإن استحلال المحارم جامع لجميع أنواع الظلم.

ومن السياق عرف أن مقصود الحديث بالذات ذكر الشح وذكر الظلم، توطئة وتمهيدًا لذكره وأبرزه في هذا التركيب، إيذانًا بشدة قبح الشح[1].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾. (الحشر: ٩)

✍ في تفسير السعدي: ووقاية شح النفس يشمل وقايتها الشح في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقى العبد شح نفسه سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعًا منقادًا منشرحًا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه،

(١) «شرح فيض القدير».

وإن كان محبوبًا للنفس، تدعو إليه وتتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز.

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾.

(الليل: ٨-١١)

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ بما أمر به فترك الإنفاق الواجب والمستحب ولم تسمح له نفسه بأداء ما وجب لله، ﴿ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾ عن الله، فترك عبوديته جانبًا ولم ير نفسه مفتقرة غاية الإفتقار إلى ربها الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها الذي تقصده وتتوجه إليه، ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أي: بما أوجب الله على العباد من التصديق به ومن العقائد الدينية وما ترتب عليها من الجزاء. ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ أي: للحالة العسرى والخصال الذميمة، بأن يكون ميسرًا للشر أينما كان ومقيضًا له أفعال المعاصي .. نسأل الله العافية.

﴿وما يُغْني عنْهُ مالُهُ﴾ الذي أطغاه واستغنى به وبخل به، ﴿إذا تردَّى﴾ أي هلك ومات، فإنه لا يصحب الإنسان إلا عمله الصالح، وأما ماله الذي لم يخرج منه الواجب فإنه يكون وبالاً عليه إذا لم يقدم منه لآخرته شيئًا.

- رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»**[1].

«وأمرهم بالفجور»: أي الميل عن القصد والسداد والانبعاث في المعاصي. **«ففجروا»**: أي أمرهم بالزنا فزنوا.

عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«الشحيح لا يدخل الجنة»**[2].

(١) رواه أبو داود والحاكم.

(٢) رواه الخطيب في كتاب «البخلاء»، والطبراني والديلمي.

«الشحيح»: أي البخيل الحريص على ما سبق بما فيه.

«لا يدخل الجنة»: مع هذه الخصلة حتى يطهر منها، إما بتوبة صحيحة في الدنيا، أو بالعفو، أو بالعذاب.

وحقيقة الإنسان عبارة عن روح ونفس وقلب، وإنما سُمي القلب قلبًا لأنه يميل تارة إلى الروح ويتصف بها فيفوز ويفلح، فيدخل صاحبه الجنة، وإذا اتصف بصفة النفس أظلم، فكان للشح، فخاب وخسر، فلا يدخل الجنة حتى يطهر من دنسه.

* وكما تقدم من أن الشح من صفات المنافقين، فإنه أيضًا من علامات الساعة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«يتقارب الزمان، ويقبض العلم، ويُلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج»**، قيل: وما الهرج؟ قال: **«القتل»**[1].

يُلقى: يُطرح.

---

(١) رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والحافظ العراقي.

سادساً ـ موالاة غير المسلمين

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٥١-٥٣).

ينهى - تبارك وتعالى - عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله - قاتلهم الله -، ثم أخبر أنه بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك، فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾. يقول السعدي في تفسيره: لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعوا إلى الكثير، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا حتى يكون العبد منهم. اهـ.

● **مداخلة:**

هدى الله هؤلاء الذين هرولوا للإقامة في إسرائيل بعد تطبيع العلاقات معها، حتى أطلق على تجمعاتهم وسط اليهود بحي المصريين!!

﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾ أي: شك ونفاق وضعف إيمان، ﴿**يُسَارِعُونَ فِيهِمْ**﴾ أي يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر، ﴿**حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾ في الدنيا ﴿**فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ**﴾ حيث فاتهم ما هو أصلح لأنفسهم وأنفع لهم في الدنيا والآخرة.

ولا يخفى على أحد حقد اليهود والنصارى على المسلمين، لما هم عليه من الحق، جعلهم لا يقر لهم قرار حتى يفسدوا على الناس أمر دينهم، كما قال تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**﴾ (البقرة: ١٠٩).

يخبـر تعالى عباده المؤمنـين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعـلمهم بعداوتهم لهم في الـباطن والظاهر، وما هم مـشتملون عليـه من الحسد للمـؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم.

وقال تعـالى: ﴿ **مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ (البقرة: ١٠٥).

يبين الله تعـالى شدة عـداوة الكافرين من أهل الكـتاب والمشركين الذين حـذر الله من مشابهتهم للمـؤمنين، ليقطع المودة بينهم وبينهم، ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكـامل الذي شـرعه لنبيه مـحمد ﷺ، حيث يقول: ﴿ **وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾.

يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «ويجمع القرآن بين أهل الكتـاب والمشركين في الكفر .. وكـلاهما كـافر

بالرسالة الأخيرة، فهما على قدم سواء من هذه الناحية، وكلاهما يضمر للمؤمنين الحقد والضغن، ولا يود لهم الخير، وأعظم ما يكرهونه للمؤمنين هو هذا الدين، هو أن يختارهم الله لهذا الخير وينزل عليهم هذا القرآن ويحبوهم بهذه النعمة ويعهد إليهم بأمانة العقيدة في الأرض، وهي الأمانة الكبرى في الوجود» اهـ.

قال تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ (البقرة: ١٢٠).

* في تفسير ابن كثير: وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضى الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، وقل لهم: إن هدى الله الذي بعثني به هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

﴿ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم...** ﴾ فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى، بعدما علموا من

القرآن والسنة ـ عياذًا بالله من ذلك ـ، فإن الخطاب للرسول ﷺ والأمر للأمة. اهـ.

لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[١].

وكما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٩).

■ النهي عن السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم:

روى أبو داود والترمذي في الضياء عن جرير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تراءي نارهما»**.

وفي رواية للطبراني عن جرير أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: **«برئت الذمة ممن أقام مع المشركين في ديارهم»**.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، للشيخ/ عبد الرحمن السعدي.

- (برئت الذمة): أي ذمة أهل الإسلام.

- (ممن): أي من مسلم (أقام مع المشركين) يعني الكفار، وخص المشركين لغلبتهم حينئذ. وتمام الحديث كما في الفردوس وغيره: قيل: لمَ يا رسول الله؟ قال: «لا تتراءى نارهما».

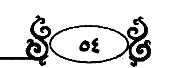
وفي رواية للبيهقي عن جرير أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة».

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»

- المقصود بالجماع: النكاح.

- (وسكن معه): أي في ديار الكفر (فإنه مثله) أي من بعض الوجوه، لأن الاقبال على عدو الله وموالاته توجب إعراضه عن الله، ومن أعرض عنه تولاه الشيطان ونقله إلى الكفران.

قال الزمخشري: وهذا أمر معقول، فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان. وفيه إبرام والزام بالتصلب في



مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والتحرز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وفي الزهد لأحمد عن ابن دينار:

أوصى الله إلى نبي من الأنبياء: «قل لقومك لا تدخلوا مداخل أعدائي، ولا تلبسوا ملابس أعدائي، ولاتركبوا مراكب أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي».

وفي رواية أخرى عن سمرة بن جندب مرفوعًا:

«لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا».

- رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.



فضل الأمة المحمدية

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس، نصحًا ومحبة للخير ودعوة وتعليمًا وإرشادًا، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وجمعًا بين تكميل الخلق والسعي في منافعهم بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله والقيام بحقوق الإيمان.

ولهذا كان التفضيل من الله - عَزَّ وجَلَّ - لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم.

ولأن المسلمين هم أهدى الناس طريقًا وأقومهم سبيلاً وأرشدهم سلوكًا في هذه الحياة، فقد أقامهم الله تعالى مقام الشهادة على الأمم كلها، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط فالأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين، وسطًا في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطًا في الشريعة لا تشديدات اليهود وأحبارهم، ولا تهاون النصارى.

وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم. ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئًا ولا يحرمون شيئًا، بل أباحوا ما دب ودرج.

فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، ومن الطهارة أتمها. ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم،

فلذلك كـانوا ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ كـاملين معـتـدلين، ليكونوا ﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ بسبب عـدالتهم وحكمـهم بالقسط، يحكمـون على الناس من سـائر أهل الأديان، والمقصـود الحكم بالعـدل والحق، وشرط ذلـك العلم والعدل، وهمـا موجودان في هذه الأمة.

ومن شهـادة هذه الأمة علـى غيرهم، أنـه إذا كان يوم القيامة وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة على ذلك، وأنكروا أن الأنبيـاء بلغتهم، استـشهد الأنبيـاء بهذه الأمة وزكـاها نبيـها وهو أكـمل الخلق ﷺ، ولهـذا قال تعالى: ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾.

ﮧ وفي تفـسيـر ابن كثـير: الوسط: العـدل، ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ ﴾ في الحديث: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك، فيدعي قومه فيقال: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟

فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاء نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا» اهـ.

فكيف يتناسب مع ذلك أن يكون المسلمون أتباعًا لغيرهم من كل ناعق، يقلدونهم في عاداتهم ويحاكونهم في أعيادهم وتقاليدهم؟! ورسول الله ﷺ نهى المسلمين جميعًا أن يتلقوا عن أهل الكتاب.

فعن جابر، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: **«أوفي شك يا ابن الخطاب؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني»**[1].

وعن عرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا:

---

(١) رواه أحمد، وابن أبي شيبة.

إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: «**قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى إختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما تقيد انقاد**»[1].

«**قد تركتم على البيضاء**»، وفي رواية «على المحجة البيضاء»، وهي جادة الطريق. «**ومن يعش ...**» فيه من معجزاته ﷺ الإخبار بما سيكون بعده من كثرة الإختلاف وغلبة المنكر.



(١) رواه أحمد، وانفرد بإخراجه ابن ماجه واللفظ له.

سابعًا: الردة ومحاربة دين الله

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (محمد: ٣٢-٣٤).

يخبر تعالى بمن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول ﷺ وشاقه وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى أنه لن يضر الله شيئًا، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من علمه الذين عقبه بردته جناح بعوضة من خير، بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات.

وهذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها من الكفر بالله وصد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلاً إليه، وعاندوا الرسول ﷺ وخالفوه عن عمد وعناد، لا عن

جـهل وغي وضـلال، فـإنهم ﴿لَن يَضُـرُّوا اللَّهَ شَـيْـئًا﴾، ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: مساعـيهم التي بذلوها في نصر الباطل، بأن لا تثمـر لهم إلا الخيبة والخسـران، وأعمالهم التي يرجون بها الثواب لا تقبل لعدم وجود شرطها.

ثم يأمـر تعالى المؤمنين بـأمر به تتم وتحـصل سعـادتهم الدينيـة والدنيوية، وهو طاعـته وطاعـة رسوله فـي أصول الدين وفروعه، والطاعة هي امتـثال الأوامر واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتمام المتابعة.

وقوله: ﴿وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾، يشمل النهي عن إبطالها بعـد عملهـا بما يفـسـدها، من مَنٍ بها وإعـجـاب وفخـر وسمعة، ومن عمل بالمعاصي التي تضـمحل معها الأعمال ويحبط أجـرها، ويشمل النهي عن إفسـادها حال وقوعـها بقطعها، أو الإتيان بمفسد من مـفسداتها. فمبطلات الصلاة والصيـام والحج ونحوها كلها داخلة فـي هذا ومنهي عنها، ويستدل الفقهـاء بهذه الآية على تحريم قطع الفرض وكراهة

قطع النفل، ومن غير موجب لذلك. وإذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال، فهو أمر بإصلاحها وإكمالها وإتمامها والإتيان بها على الوجه الذي تصلح به علمًا وعملاً.

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

الآيتان مقيدتان لكل نص مطلق، فيه إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه، فقال هنا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾، بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿ وَصَدُّوا ﴾ الخلق ﴿ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بتزهيدهم إياهم بالحق، ودعوتهم إلى الباطل وتزيينه، ﴿ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ لم يتوبوا منه، ﴿ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾، لا بشفاعة ولا بغيرها؛ لأنه قد تحتم عليهم العقاب وفاتهم الثواب ووجب عليهم الخلود في النار، وسدت عليهم رحمة الرحيم الغفار.

ومفهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم فإن الله يغفر لهم ويرحمهم ويدخلهم الجنة، ولو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به والصد عن سبيله والإقدام على معاصيه، فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة، ولم يغلقها عن أحد ما دام حيًا متمكنًا من التوبة. وسبحان الحليم الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعاقبهم ويرزقهم كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم.

روى سمويه والطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«ثلاث من كن فيه فقد ذاق طعم الإيمان: من كان لا شيء أحب إليه من الله ورسوله، ومن كان أن يحرق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه، ومن كان يحب لله ويبغض لله»**.

ثامنًا. قتل الأنبياء وأئمة الهدى والدعاة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ٢١-٢٢).

✍ يقول ابن كثير: هذا ذم من الله لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديمًا وحديثًا التي بلغتهم إياها الرسل استكبارًا عليهم وعنادًا لهم وتعاظمًا على الحق واستنكافًا عن اتباعه، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم، إلا لكونهم دعوهم إلى الحق، وهذا هو غاية الكبر كما قال النبي ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس»[1].

---

(١) بطر الحق: أنكره ولم يقبله. غمط فلان فلانًا: استصغره واحتقره.
- والحديث رواه مسلم عن ابن مسعود.

- عن عبيدة بن الجراح قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبيًا، او من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ...﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعًا من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله - عَزَّ وجَلَّ -».

● **مداخلة:**

ولا تزال الصفحات السوداء من تاريخ الجبابرة والظلمة تدون لهم ما تلذذوا به في قتل وتعذيب الأئمة والدعاة من الناس، ولا يزال القرآن يحدثنا عن هؤلاء ليكونوا عبرة لأسلافهم، إلا أن الكثيرين من هؤلاء (وسجلات التاريخ تزخر بهم) أبو إلا أن يكونوا جنودًا لإبليس، فيحاربوا كل

آمر بمعروف وناه عن المنكر، ويناصروا أئمة الكفر والضلال ودعاة الإجرام والباطل.

ولهذا قال ـ عَـزَّ وجَلَّ ـ فيهم: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: مـوجع مهين، هذا إلى جـانب حبـوط أعمـالهم في الدنيا والآخرة ـ عصمنا الله منهم ـ.

وفي التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (الأحزاب:٥٨).

ـ وعن أبي هريرة ﷺ عـن النبي ﷺ قـال: «إن الله تعالى قال: ما عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»[١].

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[٢].

(١) الحديث رواه البخاري. (٢) رواه أبو داود.



«غير الغالي»: أي غير متجاوز الحد في العمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه، وفي حدود قراءته ومخارج حروفه (شرح المناوي). **«والجافي عنه»**: أي التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه.

قال ابن الأثير: وقيد بقوله **«غير الغالي...»** إلخ؛ لأن من أخلاقه التي أمر بها القصد في الأمور، والغلو: التشديد في الدين ومجاوزة الحد، والتجافي: البعد عنه.

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»**[1].

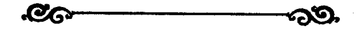
قال تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ (النساء: ٩٣). يقول ابن كثير: وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي.



الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله - عَزَّ وجَلَّ -، حيث يقول: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ (الفرقان: ٦٨). والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدًا، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»(١). وفي الحديث أيضًا: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»(٢). اهـ.



(١) رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجة عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) رواه الترمذي، والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

تاسعاً. التألي على الله

روى أبو داود في سننه ـ (كتاب الأدب باب النهي عن البغي)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، أحدهما مطيع والآخر مقصر، فما زال المطيع بالمقصر يؤنبه في ذات الله حتى قال له المقصر: خلني وربي، أكنت عليَّ رقيبًا، فقال المطيع: والله لا يغفر الله لك»، وفي رواية: «والله ليدخلنك الله النار، فقال الله للمطيع: أكنت بي عالمًا أم كنت على ما في يدي قادراً .. ادخل النار». قال أبو هريرة: فوالله إنه تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله، من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان، قد غفرت لفلان وأحبطت عملك».

ومعنى «متواخيين»: أي اتخذ كل واحد منهما الآخر أخًا له في الله تعالى، يتناصحان لعمل الخير، لذلك كان المجتهد في العبادة ينكر على الآخر الذنب. فيقول له المذنب: «خلني وربي» أي اتركني وما يفعل ربي بي، فإني أعتقد أن الله تعالى غفور رحيم، يغفر الذنوب جميعًا ورحمته وسعت كل شيء.

وفيه إشارة إلى أنه كان حسن الظن بالله تعالى، راجيًا منه أن يغفر له ذنوبه إذا تاب منها وندم عليها واستغفر ربه منها، ولذا قال: «خلني وربي» أي إن ظني بالله وبمغفرته عظيم. ثم قال له: «أكنت علي رقيبًا» من جهة الله تعالى، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (الأنعام:١٠٧).

أي: رقيبًا مهيمنًا من قبلنا واعيًا لأعمالهم مأخوذًا بإجرامهم. فالرقيب على العباد هو الله تعالى وحده.

وهذا منه «أي المذنب هنا» حسن في العقيدة، تستأهل وتستدر مغفرة الله تعالي لمن اتصف بها، «فقال» له المجتهد في العبادة: «والله لا يغفر الله لك»، أو قال له في رواية أخرى: «والله لا يدخلك الله الجنة»، وهذه الكلمة كما قال أبو هريرة رضي الله عنه هي التي أوبقت وأهلكت دنياه وآخرته.

«أوبقت دنياه»: أي أحبطت أعماله الصالحة التي كان يجتهد فيها، «وأوبقت آخرته»: فلم تبق لأعماله ثوابًا ولا أجرًا.

لذلك استحق دخول النار، ويحتمل أن المراد يعذب فيه عذاب عصاة المؤمنين تطهيرًا لهم من ذنوبهم التي ارتكبوها؛ لأن هذا اقترف إثمًا عظيمًا، وهو حكم جازمًا بأن الله تعالي لن يغفر لأخيه العاصي ولا يدخله الجنة. والله تعالى يقول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢). أي: أهم الخزان لرحمة الله وبيدهم تدبيرها؟!

فالمغفرة والعذاب الوارد والوعد والوعيد بهما تحت مشيئة الله وحده، ليس لمخلوق أن يجزم بحصول أحدهما

لمخلوق لنفسه أو لغيره، وإلا كان تحكمًا منه في إرادة الله وعلى أفعاله ـ تبارك وتعالى ـ.

* فالمذنب الراجي لمغفرة الله أدخله الله الجنة، والطائع الذي تألى على الله دخل النار.

ومن كتاب (الرقاق ـ باب حفظ اللسان)، ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»**. وفي رواية أخرى: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم»**.

* والشاهد من هذا الحديث: قوله ﷺ: **«لا يلقي لها بالاً»**، أي أنه جاهل بما توجبه هذه الكلمة، ومع ذلك استحق ما يتعلق بها من وعيد، فجهله بما توجبه هذه الكلمة لم يكن له عذرًا منجيًا من الوعيد المستحق عليها.

* قـال المناوي: **«لا يلقي لها بالاً»**: أي لا يتـأملهـا ولا يلتفت إليـها ولا يعـتد بها، بل يظنهـا قليلة وهي عند الله عظيـمة، ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١٥)، وهذا حث على التـدبر والتفكر عند التكلم، فـإن الشيطان يزين الشـر في صورة الخـير .. نعـوذ بالله من الزلل في القول والعقيدة والعمل.

- وعن عيـاض رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»**[1].

قال أهل اللغة: **«البغي»**: التعدي والاستطالة.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: **«إذا قال الرجل: هلك الناس، فهو أهلكهم»**[2].

---

(١)، (٢) رواهما مسلم.

وذلك النهي لمن قال ذلك عُجبًا بنفسه وتصاغرًا للناس وارتفاعًا عليهم، فهذا هو الحرام، وأما من قاله لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم، وقاله تحزنًا عليهم وعلى الدين فلا بأس به، هكذا فسره العلماء وفصَّلوه، وممن قاله من الأئمة الأعلام: مالك بن أنس، والخطابي، والحميدي، وآخرون.



عاشراً. المن بالعمل الصالح

الله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٢-٢٦٣).

جاء في تفسير ابن كثير: يمدح ـ سبحانه وتعالى ـ الذين ينفقون في سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منًّا على من أعطوه، فلا يمنون به على أحد، ولا يمنون به لا بقول ولا فعل.

وقوله: ﴿وَلا أَذًى﴾ أي: لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا يحبطون به ما سلف من الإحسان، ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ثوابهم على الله لا على أحد سواه، ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيما يستقبلونه من أهوال القيامة ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: على ما خلفوه من الأولاد

ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها؛ لأنهم صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: من كلمة طيبة ودعاء لمسلم، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: عفو وغفر عن ظلم قولي أو فعلي، ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾.

- عن عمرو بن دينار قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من صدقة أحب إلى الله من قول معروف، ألم تسمع قول الله: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ...﴾»**.

- وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»**، فقالوا: صفهم لنا يا رسول الله، فقد خابوا وخسروا، فقال النبي ﷺ: **«المسبل إزاره، والمنان بعطيته، والمُنَفِّق سلعته بالحلف الكاذب»**.

* يقول السعدي في تفسير الآية: ذكر الله أربع مراتب للإحسان:

ـ المرتبة العليا: النفقة الصادرة عن نية صالحة، ولم يتبعها المنفق منًا ولا أذى.

ـ ثم يليها: قول معروف، وهو الإحسان القولي بجميع وجوهه، الذي فيه سرور المسلم والإعتذار من السائل إذا لم يوافق عنده شيئًا، وغير ذلك من أقوال المعروف.

ـ والثالثة: الإحسان بالعفو والمغفرة عمن أساء إليك بقول أو فعل.

ـ وهذان أفضل من الرابعة وخير منها، وهي التي يتبعها المتصدق الأذى للمعطي، لأنه كدر إحسانه وفعل خيرًا وشرًا.

فالخير المحض ـ وإن كان مفضولاً ـ خير من الخير الذي يخلطه شر، وإن كان فاضلاً، وفي هذا التحذير العظيم لمن يؤذي من تصدق عليه، كما فعله أهل اللؤم والحمق والجهل.

﴿وَاللَّهُ﴾ تعالى ﴿غَنِيٌّ﴾ عن صدقاتهم وعن جميع عباده، ﴿حَلِيمٌ﴾ مع كمال غناه وسعة عطاياه يحلم عن العاصين ولا يعاجلهم بالعقوبة، بل يعافيهم ويرزقهم ويدر عليهم خيره، وهم مبارزون له بالمعاصي.

- ثم نهى أشد النهي عن المن والأذى وضرب لذلك مثلاً فقــال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

أخبر تعالى أن الصدقة تبطل ما يتبعها من المن والأذى، فمـا بقي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى، والمعنى: لا تبطلوا صدقـاتكم بالمن والأذى كما تبطل صـدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفـات الجميلة، ليشكربين الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغـاء مرضاته وجزيل ثوابه، ولهذا قال: ﴿ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾.

* يقول السعدي في تفسيره: ضرب الله في هذه الآيات ثلاثة أمثلة: للمنفق ابتغاء وجـه الله ولم يتبع نفقته منًّا ولا أذى، ولمن أتبعها منًّا وأذى، وللمرائي.

ـ فأمـا الأول: فإنه لما كـانت نفقـته مقـبولة مـضاعـفة لصدورها عن الإيمان والإخـلاص التام ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (البقرة: ٢٦٥)، أي: ينفقون وهم ثابتون على وجه السماحة والصدق، فمثل هذا العمل ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ وهو المكان المرتفع؛ لأنه يتـبين للرياح والشـمس، والماء فـيه غـزير. وهذه الجنة الـتي على هذا الوصف هي أعلى ما يطلبه الناس، فهذا العمل الفاضل بأعلى المنازل.

ـ وأما مـن أنفق لله ثم أتبع نفقـته منًا وأذى، أو عـمل عمـلاً فأتى بمبطل لذلك العمل، فـهذا مثله مثـال صاحب هذه الجنة، لكـن سلط عليـهـا ﴿إِعْصَارٌ﴾، وهو الريح الشديدة ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾، وله ذرية ضعـفاء، وهو ضعيف قد أصابه الكبر.

ـ المثل الثالث: الذي يرائي الناس، وليس معه إيمان بالله ولا احتساب لثوابه، حيث شبه قلبه بالصفوان، وهو الحجر الأملس عليه تراب يظن الرائي أنه إذا أصابه المطر أنبت كما

تنبت الأراضي الطيبة، ولكن كالحجر الذي أصابه الوابل الشديد، فأذهب ما عليه من التراب وتركه صلدًا.

وهذا مثل مطابق لقلب المرائي الذي ليس فيه إيمان، بل هو قاسٍ لا يلين ولا يخشع .. فهذا أعماله ونفقاته لا أصل لها تؤسس عليه، ولا غاية لها تنتهي لها، بل ما عمله فهو باطل لعدم شرطه.

والذي قبله بطل بعد وجود الشرط لوجود المانع، والأول مقبول مضاعف لوجود شرطه الذي هو الإيمان والإخلاص والثبات، وانتفاء الموانع المفسدة.

وهذه الأمثال الثلاثة تنطبق على جميع العاملين؛ فليزن العبد نفسه وغيره بهذه الموازين العادلة والأمثال المطابقة.

سمع محمد بن سيرين رجلاً يقول لرجل آخر: فعلت إليك وفعلت، فقال له ابن سيرين: «اسكت، فلا خير في المعروف إذا أُحصي»[1].

---

(١) «تفسير القرطبي» (٣/ ٣١٢).

حادي عشر: العُجب والرياء

روى الديلمي في مسند الفردوس عن الحسين بن علي أن رسول الله ﷺ قال: «إن العجب ليحبط عمل سبعين سنة».

«العجب»: هو نظر الإنسان إلي نفسه بعين الإستحسان.

فالمعجب يستكثر فعله ويستحسن عمله، فيكون كمن أصابه عين فأتلفته. ولهذا قال الحكماء: العجب إصابة العمل بالعين، فكما أن العين تميت الإنسان فكذا تميت أعماله وتبطل أفعاله، وربما استحكمت الغفلة على الإنسان فرأى طاعة بحوله وقوته، ولا يرى الله عليه منة في إحداث القوة لها، وخلق الإستطاعة لكسبها، فإن الذي يدخل عليه في اعتقاده أكثر مما يدخل عليه من العجب بأفعاله.

قال بعض العارفين: من أعجبته نفسه وأحوالها لا يثبت له قدم في العبودية؛ لأنه مراءٍ في أفعاله وأحواله، فهو واقف مع وجوده وإيجاده وعزه في نفسه، فهو لا ينتفع بعلم ولا ينفعه عمل.

* قال الغزالي: والناس في العجب ثلاثة أصناف:

- هم المعجبون بكل حـال، وهم القدرية والمعتزلة الذين لا يرون لله عليـهم منـة في أحـوالـهم وينكرون العـون والتوفيق الخاص لشبهة استولت عليهم.

- وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال، وهم المستقيمون لا يعجبـون بشيء من الأعمال، وذلك لبصيرة أكـرموا بها وتأييد خصوا به.

- وصنف مخلطون، وهم عامة أهل السنة، تارة يتنبهون فيذكرون الله، وتارة يغفلون فيعجبون لمكان الغفلة العارضة والفترة في الإجتهاد والنقص في البصيرة.

ونقل عن شـيخ الغـزالي (إمام الحـرمين): أن العـجب يذهب إضعاف العمل فقط.

* قال في المناهج: وعرف بعضـهم العجب بأنه استعظام النعمة مع نسـيان اضافتها للمنـعم، ويتولد الكبر منه، ومن آفاته نسـيان الذنوب لظنه الاستغـناء بسبب إعجابه بنفـسه،

والعمى عن آفات الأعمال، فيضيع عمله؛ لأنه إذا لم يفتقده لم يخرج من شوائب الإبطال، فلذلك قال: إنه يحبطه.

قالوا: والمعجب يمنعه إعجابه من الاستفادة والاستشارة واستماع النصح، ويجره إلى احتقار الخلق والعمى عن وجه الصواب في دينه ودنياه.

في حديث أبي هريرة المتقدم والذي قال فيه النبي ﷺ: **«إذا قال الرجل: هلك الناس، فهو أهلكهم»**.

* يقول المناوي: ودلت حاله على أنه يقول ذلك إعجابًا بنفسه وتيهًا بعلمه أو عبادته، واستصغارًا لشأن الناس وازدراءً لما هو عليه، فهو أشدهم هلاكًا وأحقهم بالهلاك، أو أقربهم إليه؛ لذمه الناس وذكره عيوبهم وتكبره. أو فهو أهلكهم لكونه أقنطهم عن رحمة الله وأيأسهم من غفرانه.

* وقال الغزالي: إنما قاله لأن هذا القول يدل على أنه مزدر لخلق الله، مغتر بالله، آمن من مكره، غير خائف من سطوته وقهره، حيث رأى الناس هالكين ورأى نفسه

ناجيًا، وهو الهالك تحقيقًا لما رأى ذلك، ويكفيه شرًا احتقار الغير .. إلخ.

وفي حديث عياض (رواية مسلم)، والذي قال فيه رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد».

«تواضعوا»: بخفض الجناح ولين الجانب. «حتى لا يبغي أحد على أحد»: بتعدد محاسنه كبرًا ورفع قدرنفسه على الناس تيهًا وعجبًا.

* قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: والتواضع انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة للخلق، حتى لا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقًا، بل الحق لله.

و«الفخر»: ادعاء العظمة. و«البغي»: مجاوزة الحد في الظلم.

* وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: نهى الله على لسان نبيه عن نوعي الاستطالة على الخلق، وهما: الفخر، والبغي؛ لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، أو بغير حق فقد بغى.

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣).

* في تفسير ابن كثير: يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها الله لعباده المؤمنين المتواضعين الذين ﴿ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ ﴾ أي ترفعًا على خلق الله وتجبرًا بهم ﴿ وَلا فَسَادًا ﴾ فيهم.

- وعن علي: «إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا ﴾».

وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول علي غيره، فإن ذلك مذموم كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه أُوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد»[١].

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجة عن عياض

وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل فهذا لا بأس به، فقد ثبت أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أحب أن يكون ردائي حسنًا ونعلي حسنة، أفمن الكبر ذلك؟ فقال: «لا، إن الله جميل يحب الجمال» اهـ.

* وفي تفسير السعدي: ﴿وَلَا فَسَادًا﴾، وهذا شامل لجميع المعاصي، فإذا كان لا إرادة لهم في العلو في الأرض ولا الفساد؛ لزم من ذلك أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله والانقياد للحق والعمل الصالح.

وهؤلاء المتقون الذين لهم العاقبة الحسنى، ولهذا قال: ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ أي: حالة الفلاح والنجاح التي تستقر وتستمر لمن اتقى الله تعالى. وغيرهم - وإن حصل لهم بعض الظهور والراحة -، فإنه لا يطول وقته، ويزول عن قريب، وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة، أن الذين يريدون العلو في الأرض أو الفساد ليس لهم في الدار الآخرة نصيب ولا لهم منها حظ» اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨).

﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: تميله وتعرض به عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم.

كما جاء في الحديث: قال ﷺ: «اتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو ان تفرغ من دلوك في إناء المستسقي وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخيلة ولا يحبها الله، وإن إمرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك، ولا تسبن أحدًا»[1].

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال

---

(١) رواه الطيالسي، وابن حبان عن جابر بن سليم الهجيمي.

رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(١).

«**بطر الحق**»: رفض الحق ورده على قائله.

«**غمط الناس**»: احتقارهم.

- وعن جارثة بن وهب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل النار، كل عتل جواظ مستكبر**»(٢).

«**العتل**»: الغليظ الجافي. «**الجواظ**»: المتكالب على جمع المال الذي يمنع من يسأله ولا يعطيه، وقيل: الضخم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين.

وروى أحمد عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقى الله وهو عليه غضبان**».

---

(١) رواه مسلم. (٢) متفق عليه.

«اختال في مشيته»: أي تكبر وتبختر وأعجب بنفسه في مشيته.

✍ قال المناوي: وإنما لقيه وهو عليه غضبان لأنه نازعه في خصوص صفته، إذ الكبرياء رداؤه.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله - عَزَّ وجَلَّ -: العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني في واحد منهما فقد عذبته»**[1].

- وعنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل راسه، يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»**[2].

«مرجل راسه»: أي ممشطة ومصففة.

«يتجلجل»: أي يغوص وينزل.

---

(١) رواه مسلم. (٢) متفق عليه.



قصة وعبرة
قارون المالك الهالك

ـ يخبر تعالى في سورة القصص عن حالة قارون وما فعل وفُعِلَ به، ونُصِحَ ووُعِظَ، فـقال ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦).

كان قـارون ابن عم موسي ﷺ، أي من بني إسرائيل الذين فضلوا على العالمين وفـاقوهم في زمانهم، وامتن الله عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبة للإستقامة، ولكن قارون هذا انحرف عن سبيل قومه ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ وطغى، وقد نافق كم نافق السامري، فأهلكه البغي لكثرة ماله.

﴿وَآتَيْنَاهُ﴾ أي الأموال ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ أي: حتى إن مفـاتيح خزائن أمواله تثقل الجـماعة القوية عن حملها، فما ظنك بالخزائن؟، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾

ناصحين له ومحذرين عن الطغيان: لا تفرح بهذه الدنيا وتفتخر بها وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها المنكبين على محبتها أو الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

أي قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من المال الجزيل والنعمة الطائلة، فابتغ بها ما عند الله وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات وتحصيل اللذات، واستعمل ما وهبك الله في طاعته والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة. واستمتع بدنياك استمتاعًا لا يثلم دينك ولا يضر بآخرتك، ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ بهذه الأموال، ﴿وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾ بالتكبر

والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن المنعم، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

ويخبر تعالى عن جواب قارون لقومه حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير فقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص: ٧٨).

﴿ قَالَ ﴾ قارون ردًا لنصيحتهم كافرًا بنعمة ربه: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي وحذقي لأني أهل لذلك.

وقد كان من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر مالاً، وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم، ولهذا قال: ﴿ وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: لكثرة ذنوبهم. فلم يزل قارون مستمرًا على عناده وبغيه وعدم قبول نصيحة قومه فرحًا بطرًا قد أعجبته نفسه وغره ما أوتيه من الأموال.

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (القصص: ٧٩).

يخبر تعالى عن قارون أنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة، وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها، تمنوا أن لوكان لهم مثل الذي أعطي.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (القصص: ٨٠).

أي: جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترونه كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يقول الله تعالى: اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٧)»**[1].

---

(١) متفق عليه.

﴿وَلا يُلَقَّاهَا﴾ أي الجنة ﴿إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره المؤلمة وصبروا على جواذب الدنيا وشهواتها أن تشغلهم عن ربهم وأن تحول بينهم وبين ما خلقوا له. فهؤلاء الذين يؤثرون ثواب الله على الدنيا الفانية.

فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر واينت الدنيا عنده وكثر بها إعجابه .. بغته العذاب: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١).

لما ذكر تعالى اختيال قارون في زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض، جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله؛ أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به من داره وأثاثه ومتاعه، وجاءه العذاب، فما نصر وما انتصر وما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه ولا حشمه، ولا دفعوا عنه نقمة

الله وعذابه ونكاله، ولا كان هو منتصـرًا لنفسه، فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره.

﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (القصص: ٨٢).

أي: ليس المال بدال علي رضا الله عن صاحبه، فإن الله تعـالي يعطي ويمنع ويضـيق ويوسع ويخـفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة، وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود: «إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه»[1].

﴿ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ أي لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنـا كما خسف به، لأنا وددنا أن نكون

(١) رواه الإمام أحمد.

مثله، ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ يعنون زنه كان كافرًا، ولا يفلح الكافرون عند الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ بمعنى: ألم تر أن. قال ابن جرير: إنه أقوى الأقوال. فصار هلاك قارون عقوبة له وعبرة وموعظة لغيره.

- عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الرجل يتكبر ويذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم»[1].

«يذهب بنفسه»: أي يرتفع متكبرًا.

- وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «احتجت الجنة والنار، فقالت الجنة: يدخلني الضعفاء والمساكين، وقالت النار: يدخلني الجبارون والمتكبرون، فقضى الله بينهما وقال للنار: أنت عذابي أنتقم بك ممن شئت، وقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من شئت، ولكل واحدة منكما ملؤها»[2].

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه مسلم والترمذي.

وعن الريــــاء:

- روى أحمــد وأبو داود والحاكم عن المستــورد بن شداد أن رسول الله ﷺ قال: «**من أكل برجل مسلم أكلة؛ فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن اكتسى برجل مسلم ثوبًا؛ فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مسلم مقام سمعة ورياء؛ فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة**».

- وروى أحمد عن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر: الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**».

وقال ﷺ: «**إن يَسير الرياء شرك..**» الحديث[1].

وروى الطبراني عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: «**الشهوة الخفية، والرياء شرك**».

---

(١) رواه ابن ماجة عن معاذ.

«الشهوة الخفية»: قال الزمخشري: قيل هي كل شيء من المعاصي يضمره صاحبه ويصر عليه. وقيل: أن يرى جارية حسناء فيغض طرفه ثم ينظر بقلبه ويمثلها لنفسه فيفتتن بها.

وقال الغزالي: يريد أن الإنسان إذا لم تقدر نفسه على ترك بعض الشهوات ويروم أن يخفي الشهوة ويأكل في الخفية ما لا يأكل في الجماعة

«والرياء شرك»: فإن من عمل لحظ نفسه أو ليراه الناس فيثنون عليه فقد أشرك مع الله غيره.

* قال الغزالي شهوة النفس أضر الأعداء، وبلاؤها أصعب البلاء، وعلاجها أعسر الأشياء، وداؤها أعضل الداء، فإنها عدو من داخل، واللص إذا كان من داخل البيت عزت الحيلة في دفعه، وهي عدو محبوب، والإنسان أعمى من عيب محبوبه، وإذا نظرت وجدت أصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك وآفة، وما وقع في خلق الله من أول الخلق إلى يوم القيامة من قبل النفس.

قال في الحكم: حظ النفس في المعصية ظاهر جلي، وحظها في الطاعة باطن خفي، ومداواة ما يخفي صعب علاجه، وربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق إليك، قال ﷺ: **«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ الشرك الخفي: أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»**[1].

فالرياء داء عضال يقضي علي ثواب الأعمال الصالحة ويجعلها هباءً منثورًا، وهو من صفات المنافقين الذين ذمهم الله تعالي في كتابه العزيز قائلاً عنهم: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ (النساء: ١٤٢).

* في تفسير ابن كثير: ﴿**وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾ أي: هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ويخذلهم عن الحق،

---

(١) رواه ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري.

والوصول إليه في الدنيا وكذلك يوم القيامة. وقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾، هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها، ولا خشية ولا يعقلون معناها.

عن ابن عباس قال: **«يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان، ولكن يقوم إليها طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح، فإنه يناجي الله، وإن الله تجاهه يغفر له ويجيبه إذا دعاه»**، ثم يتلو هذه الآية: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ...﴾.

وقوله: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي: لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة، ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يرون فيها غالبًا كصلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا.

وفي الحديث: «من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو، فتلك استهانة، استهان بها ربه - عَزَّ وجَلَّ -»[(١)] اهـ.

وعند السعدي: ﴿يُراءُونَ النَّاس﴾ أي. هذا الذي انطوت عليه سرائرهم، وهذا مصدر أعمالهم مراءاة الناس، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم وإحترامهم ولا يخلصون لله، فلهذا ﴿ولا يَذْكُرُون اللَّه إلاَّ قلِيلاً﴾ لامتلاء قلوبهم من الرياء، فإن ذكرالله تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن متتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته. اهـ.

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه».

---

(١) رواه ابن وهب وعبد الرازق عن ابن مسعود رضي الله عنه.
- قال المناوي تعليقًا على الحديث. «فإن قصد الاستهانة بربه كفر، ومثل الصلاة في ذلك كغيرها من العبادات»

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[1].

---

(١) رواه مسلم

– وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن ناسًا قالوا له: إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال ابن عمر رضي الله عنهما: **«كنا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ»**[1].

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله – عز وجل – لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا؛ لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة»**[2] يعني ريحها.

– وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الذي يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: **«تلك عاجل بشرى المؤمن»**[3].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح
(٢) رواه مسلم.

قال ابن العربي. وهذا (أي الرياء) من أصعب الأمراض النفسية التي يجب التداوي لها، وداؤه أن يستحضر قوله تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ (العلق: ١٤)، ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجهْرَكُمْ﴾ (الأنعام: ٣)، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب: ٣٧)، ونحو ذلك من الآيات القرآنية.

ـ روى أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**من يرائي يرائي الله به، ومن يسمع يسمع الله به**».

«**من يرائي**»: أي يظهر للناس العمل الصالح، ليعظم به عندهم وليس هو كذلك. «**يرائي الله به**»: أي يظهر سريرته على رؤوس الخلائق ليفتضح أو ليكون ذلك حظه فقط.

«**ومن يسمع**»: الناس عمله ويظهره لهم ليعتقدوه ويبروه. «**يسمع الله به**»: يوم القيامة، أي يظهر للخلق سريرته ويملأ أسماعهم مما انطوى عليه جزاءً وفاقًا.

- وروى ابن عساكر في التاريخ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«ثلاثة من كن فيه يستكمل إيمانه: رجل لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله، وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة، اختار أمر الآخرة على الدنيا»**.

«ولا يرائي»: بل إنما يعمل لوجه الله تعالى، مراعيًا للإخلاص في سائر أعماله.



ثاني عشر: انتهاك محارم الله

قال تعالى: ﴿ومن يُعظِّم حُرُمات الله فهُوَ خيْرٌ لَّهُ عند ربِّه﴾.

(الحج: ٣٠)

* عند ابن كثير: أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه ﴿فهُوَ خيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل.

- وفي سنن ابن ماجة من حديث ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لياتين أقوام من أمتي يوم القيامة بحسنات كأمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباءً منثورًا**»، فقال الصحابة ﷺ: صفهم لنا يا رسول الله، نخشي أن نكون منهم، فقال: «**هم منكم، يصلون كما تصلون، ويصومون كما تصومون، ويأخذون من الليل ما تأخذون، غير أنهم إذا خلو بمحارم الله انتهكوها**».

- وروى الخراطي في (مساوئ الأخلاق)، والديلمي في (مسند الفردوس) عن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله

ﷺ قال: **«الزاني بحليلة جاره لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكيه ويقول له: ادخل النار مع الداخلين»**.

خص الجار - مع أن الزنا من أعظم الكبائر كيف كان - إشارة إلي أنه بها أفحش أنواعه؛ لقطعه ما أمر الله به أن يوصل من رعاية حقه ودفع الأذى.

والزنا بحليلته: زنا وإبطال حق الجوار والخيانة لمن استأمنك، فلقبحه خصه بأنه: **«لا ينظر الله إليه يوم القيامة»**، فالنظر لطف ورحمة، **«ولا يزكيه ويقول .....»** وفيه وعيد شديد، فإن من لم ينظر الله إليه فقد غضب عليه، وغضبه سبحانه لاتقوم له الجبال فضلاً عن عبد حقير ضعيف.

ويكفي في مشهد هذا العصيان أن يشهد فوت الإيمان الذي ذرة منه خير من الدنيا وما فيها بأضعاف، فكيف يبيعه بشهوة تذهب لذتها ويبقى سوء مغبتها بتبعتها، تذهب الشهوة وتبقى الشقوة.

فالزنا ذنب كبير، فإن أضيف إليه كونه بحليلة من يسكن جوارك والتجأ بأمانتك وثبت بينك وبينه حق الأمانة؛ فقد زاد قبحًا، وكلما كان الذنب أقبح كان الإثم أعظم وأفحش[1].

- عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال: **«حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخون فيهم؛ إلا وقف له يوم القيامة فقيل له: قد خانك في أهلك، فخذ من حسناته ما شئت، فيأخذ من عمله ما شاء؟ فما ظنكم؟»**[2].

- وعن أبي قلابة أن رسول الله ﷺ قال: **«البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان»**[3].

---

(١) شرح «فيض القدير».
(٢) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي وأبو داود.
(٣) رواه عبد الرازق، والبيهقي في «الزهد».

«لا يبلى»: أي لا ينقطع ثوابه ولا يضيع، بل هو باق عند الله تعالى. وقيل: أراد الإحسان وفعل الخير، لا يبلى ثناؤه وذكره في الدنيا والآخرة. «والذنب لا ينسى»: أي لابد أن يجازى عليه ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (طه:٥٢)، ونبه به على شيئ دقيق يغلط الناس فيه كثيرًا، وهو أنهم لا يرون تأثير الذنب فينساه الواحد منهم ويظن أنه لا يعير بعد ذلك، وأنه كما قال:

إذا لم يغير حائط في وقوعه
فليس له بعد الوقوع غبار

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وسبحان الله، كم أهلكت هذه البلية من الخلق، وكم أزالت من نعمة، وكم جلبت من نقمة، وما أكثر المغترين بها من العلماء فضلاً عن الجهال، ولم يعلم المفتري أن الذنب ينقض ولو بعد حين كما ينقض السم والجرح المندمل على دغل.

- المندمل: الآخذ في البرء، على دغل: أي خفيًا.

- وروى الطيالسي وابن وهب عن جـابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«قال لي جبريل: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»**.

«واعمل ما شئت»: مبالغة في التفـريع والتهديد من قبيل: ﴿اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ﴾ (فصلت: ٤٠) يجازيكم به، فإن كان العمل حسنًا سرك جزاؤه، أو سيئًا ساءك لقاؤه.





ثالث عشر: رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ

وقد عد العلماء رفع الصوت بعد وفاته ﷺ كرفعه في حياته أو عند قبره.. قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات ٢)

✍ قال القرطبي: هذا في حال حياته وبعد مماته؛ لأنه محترم حيًا وميتًا ﷺ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات ٣). فعبر بغض الصوت، مع أن الغض للبصر، وهذا أعلى مراتب الأدب مع رسول الله ﷺ.

✍ قال ابن كثير في تفسير: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ أي: إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري، كما جاء في الصحيح: **إن العبد**

ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يكتب له بها الجنة. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض».

كذلك لا تقدم كلامًا على كلامه وأمرًا على أمره ﷺ، وذلك من شروط قبول العمل أن يكون صوابًا (أي على هدي رسول الله ﷺ). قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: وإياك أن ترد الأمر لأول وهلة لمجرد مخالفته هواك، فتعاقب بتقليب القلب عند الموت؛ لقوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الأنعام: ١١٠).

ـ روى الإمام أحمد عن مجاهد قال: كتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟، فكتب عمر رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

حساب جار لأبي لهب

آنزل الله - سبحانه وتعالي - في أبي لهب - قبحه الله - سورة كاملة، فيها من التنديد والوعيد له وامرأته في سابقة لم تقع لأحد من عشيرة النبي ﷺ، رغم أن أبا جهل قد أنزل من الأذى برسول الله ﷺ وصحابته ما يفوق فعل أبي لهب، إلا أن محكم التنزيل خص أبا لهب؛ لأنه أول من تجرأ برفع صوته فوق صوت النبي ﷺ سابًا له ومعارضًا لما جاء به.

- فقد روي البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** (الشعراء: ٢١٤)، **خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: «يا صباحاه»، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «أرايتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيَّ؟»، قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، قال أبو لهب: تبًا لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت:**

﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ (المسد)، وقد تب، هكذا قراها الأعمش يومئذ».

وأبو لهب هو عم النبي ﷺ، وكان شديد العداوة والأذية له، فلا دين له ولا حمية للقرابة، فذمه الله بهذا الذم العظيم الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة، فقال تعالى في سورة المسد: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أي: خسرت يداه وخابت وشقى بأن ضل عمله وسعيه فلم يربح، ﴿ وتب ﴾ أي وقد تب بمعنى تحققت خسارته وهلاكه.

﴿ ما أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ﴾ الذي كان عنده فأطغاه، فإنما كان يعادي الدين الجديد لأنه يحارب تلك الأصنام التي كانت تقوم عليها تجارته، ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ أي لم يرد عنه ماله شيئًا من عذاب الله إذا نزل.

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أي: ستحيط به النار من كل جانب، وهذ ذات شرر ولهب وإحراق شديد، هو ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾، ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾،

وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي أم جميل واسمها أروى بنت حرب، وكانت عونًا لزوجها على كفره وجموده وعناده.

وكانت أيضًا شديدة الأذى لرسول الله ﷺ، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان وتلقي الشر، فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في نار جهنم، فتحمل الحطب وتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه، وهي مهيأة لذلك مستعدة له متقلدة في عنقها حبلاً من مسد: أي من ليف المقل وهي السلسلة التي في النار.

وعلى كل، ففي هذه السورة آية باهرة من آيات الله - عَزَّ وجَلَّ -، فإن الله تعالى أنزل هذه السورة وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار، و لابد من لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة.

ولأن جراءة أبا لهب دفعتـه إلى أن يكون سباقًا في الرد على رسول الله ﷺ ومـعاداته، بل وإمامًـا للمسـيئين له ﷺ ، لذا أصبحت ذنوب أبي لهب متنامـية، فيحمل مع أوزاره أوزار كل من يسيء إلي النبـي ﷺ أو يتجـرأ في الرد على مـا حـدث به أو عـادى سنة مـن سننه، إلى يوم الحساب الأكبر.

* لذا كان لأبي لهـب مع ذنوبه المتراكمـة حسـاب جارٍ يشمل الأرباح المركبـة من سيئات كل من نهج نهـجه وسار على دربه.



رابع عشر. ترك صلاة العصر

- روى أحمد والبخاري والنسائي عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك صلاة العصر حبط عمله**».

«**من ترك صلاة العصر**»: أي متعمدًا «**حبط عمله**»[1]، أي بطل كمال ثواب عمله في يومه ذلك. وخص العصر لأنها مظنة التأخير بالتعب من شغل النهار، أو لأن فوتها أقبح من فوت غيرها، لكونها الوسطى المخصوصة بالأمر بالمحافظة عليها على القول المنصوص، قال تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾ (البقرة: ٢٣٨).

* جاء في تفسير السعدي: يأمر تعالى بالمحافظة ﴿**عَلَى الصَّلَوَاتِ**﴾ عمومًا، وعلى ﴿**الصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾ وهي العصر خصوصًا. والمحافظة عليها: أداؤها بوقتها وشروطها

(١) قال الحرالي: والإحباط من الحبط وهو فساد في الشيء الصالح، يفسده عن وهم صلاحه.

وأركانها وخشوعها وجميع ما لها من واجب ومستحب، وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات، وتفيد النهي عن الفحشاء والمنكر، وخصوصًا إذا أكملها؛ كما أمر بقوله: ﴿ **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾، أي: ذليلين مخلصين خاشعين، فإن القنوت دوام الطاعة مع الخشوع. اهـ.

وقد وضح ﷺ الوسطى بقوله: «**صلاة الوسطى صلاة العصر**»[(١)].

ـ أي الصلاة الفضلى هي العصر من قولهم للأفضل أوسط، وذلك لأن تسميتها بالعصر مدحة، من حيث أن العصر خلاصة الزمان، كما أن عصارات الأشياء خلاصتها ﴿ **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾ (يوسف:٤٩)، فعصر اليوم هو خلاصته لسلامته من وهج

---

(١) رواه أحمد والترمذي عن سمرة. والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود. والبيهقي عن أبي هريرة. والبزار عن ابن عباس. والطيالسي عن علي.

الحارة وغسق الليل، ولتوسط الأحوال والأبدان بين حاجتي الغذاء والعشاء التي هي شغلتهم لحاجة الغداء، ولتصادم ملائكة الليل والنهار فيها.

- روى الطبراني عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: **«اليوم الموعود يوم القيامة، والشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، ويوم الجمعة ذخره الله لنا، وصلاة الوسطى: صلاة العصر».**

«يوم الجمعة ذخره الله لنا»: فلم يظفر به أحد من الأمم السابقة.

- وأما عن وقت صلاة العصر، فقال ﷺ: **«ووقت العصر ما لم تصفر الشمس»**[1].

- وروى الحافظ العراقي عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قول رسول الله ﷺ: **«الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر**

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

أهله وماله». أي من تعمد إخراجها عن وقت جوازها، وقيل اختيارها. **«كأنما وتر أهله وماله»:** قال النووي: أي انتزع منه الأهل والمال. والقصد الحث عليها والتحذير من فوتها كحذره من ذهاب أهله وماله.

- وفي رواية للنسائي عن نوفل بن معاوية وابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله»** يعني العصر.

- وروى أحمد وابن ماجة وابن حبان عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: **«بكروا بالصلاة في يوم الغيم، فإنه من ترك صلاة العصر حبط عمله».** أي حافظوا عليها وقدموها فيه لئلا يخرج الوقت وأنتم لا تشعرون.

وإخراج الصلاة عن وقتها عظيم الجرم جدًا، لاسيما العصر كما يشير إليه قوله **«فإنه»** أي الشأن **«من ترك صلاة العصر حبط عمله»** أي: بطل ثوابه، وليس ذلك من إحباط ما سبق من علمه، فإنه في حق من مات مرتدًا، بل يحمل

الحبوط على نقصان عـمله في يومه ذلك. وحمله الدميري على المستحل أو من تعود الترك أو على حبوط الأجر.

ﻫ قـال ابن تيمـية ـ رحـمه الله ـ: وهي التي عـرضت على من قبلنا فضيعوها، فالمحافظ عليها له الأجر مرتين، وهي التي لما فـاتت سليمـان فعل بالخـيل ما فـعل، وهي خاتمة فرائض النهـار، وبفوتها يصير عمل نهـاره أبتر غير كامل الثواب.

فـقد روى مـسلم والنسائي عن أبي بصـرة الغفـاري أن رسول الله ﷺ قـال: «**إن هذه الصلاة ـ يعني العـصر ـ عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد**».



أمور أخرى تحبط الأعمال

روى الديلمي في (مسند الفردوس) عن عدي بن حاتم أن رسول الله ﷺ قال: «**ستة أشياء تحبط الأعمال: الاشتغال بعيوب الخلق، وقسوة القلب، وحب الدنيا، وقلة الحياء، وطول الأمل، وظالم لا ينتهي**».

١ـ الاشتغال بعيوب الناس

الاشتغال بعيوب الناس عن عيوب النفس، فيبصر عيب غيره ويتحدث به ولا يبصر عيب نفسه. كما في الحديث الذي رواه القضاعي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه**».

«**القذى**»: جمع قذاة، وهي ما يقع في العين والماء والشراب من نحو تراب وتبن ووسخ. و«**الجذع**»: واحد جذوع وهي النخل، «**في عينه**»: كأن الإنسان لنقصه حب نفسه يتوفر على تدقيق النظر في عيب أخيه،

فيدركه مع خفائه، فيعمى به عن عيب في نفسه ظاهر لا خفاء به، مثل ضرب لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به، وفيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجذع إلى القذاة، وذلك من أقبح القبائح وأفضح الفضائح، ولله در القائل:

أرى كل إنسان يرى عيب غيره
ويعمى عن العيب الذي هو فيه

فلا خير فيمن لا يرى عيب نفسه
ويمعن في العيب الذي بأخيه

فرحم الله من حفظ قلبه ولسانه ولزم شأنه وكف عن عرض أخيه وأعرض عما لا يعنيه، فمن حفظ هذه الوصية دامت سلامته وقلت ندامته، فتسليم الأحوال لأهلها أسلم. والله أعلى وأعلم.



٢- قسوة القلب

أي صلابته وشدته، وإباؤه عن قبول المواعظ والزواجر.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن: ١١)

أي الإيمان المأمور به وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من لوازمه وواجباته، أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أقواله وأفعاله وجميع أحواله وفي علمه وعمله.

وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان كما قال تعالى مخبرًا أنه يثبت المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويعينه عند ورود كل فتنة، فقال: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبًا وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان.

ومن أسباب قسوة القلب ما رواه الإمام أحمد والحاكم العراقي عن أبي جعد أن رسول الله ﷺ قال:

«من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه»

جاء في شرح فيض القدير للمناوي:

أي ختم الله على قلبه، ومنعه الطاقة، وجعل فيه الجهل والجفاء والقسوة، أو صير قلبه قلب منافق.

والطبع (بالسكون): الختم، (وبالتحريك): لدنس، وأصله من الوسخ يغشي السيف، ثم استعمل فيما يشبه ذلك من الآثام والقبائح.

القلوب الميتة:

ذكر الغزالي: قيل لإبراهيم بن أدهم: ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا، وقد قال الله تعالى. ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ (غافر: ٦٠)، قال: لأن قلوبكم ميتة، قيل: وما الذي أماتها؟

قال: **ثمان خصال:**

١ - عرفتهم حق الله فلم تقوموا به.

٢ - وقرأتم القرآن فلم تعلموا بحدوده.

٣ - وقلتم نحب رسول الله ﷺ ،وتركتم سنته.

٤ - وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له.

٥ - وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (فاطر:٦)، فواطأتموه على المعاصي.

٦ - وقلتم نخام النار فأرهقتم أبدانكم فيها.

٧ - وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها.

٨ - وإذا قمتم من فرشكم رميتم بعيوبكم وراء ظهوركم، وقدمتم عيوب الناس أمامكم.

فأسخطتم ربكم، فكيف يستجيب لكم.

٣ ـ حب الدنيا
فإنه رأس كل خطيئة

ـ روى البزار وكذا أبو يعلى عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: **«لأنا من فتنة السراء أخوف عليكم من فتنة الضراء، إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وإن الدنيا حلوة خضراء»**.

ـ وروى أحمد في الزهد عن مصعب بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: **«احذروا الدنيا، فإنها خضرة حلوة»**.

وخص الأخضر لأنه أبهج الألوان وأحسنها.

ـ وروى أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجة عن عمرو ابن العاص أن رسول الله ﷺ قال: **«ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»**.

ـ وروى الترمذي والحاكم عن قتادة بن النعمان قول رسول الله ﷺ : **«إذا أحب الله عبداً حماه في الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء»**.

«كما يحمي»: أي يمنع **«سقيمه الماء»**: عن مريضه الماء إذا كان يضره.

ـ وروى أحمد والترمذي والحاكم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : **«استحيوا من الله تعالى حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلا، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»**.

ـ وقد تقدم حديث أبي هريرة (مرفوعًا): **«ثلاثة من كن فيه استكمل إيمانه: رجل لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرائي شيء من عمله، وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة اختار أمر الآخرة على الدنيا»**.

- وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»**، ذكر منهم: **«ورجل بايع إمامًا، لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وَفَّى، وإن لم يعطه منها لم يَفِ»**[1].

فضل الزهد في الدنيا والتقلل منها:

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

(الحديد: ٢٠)

في هذه الآية يظهر تعالى حقيقة الحياة الدنيا، موهنًا أمرها ومحقرًا لها، ثم ضرب الله مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾، وهو المطر

---

(١) متفق عليه.

الذي يأتي بعد قنوط الناس، وقوله: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ أي: يهيج الزرع فتراه مصفرًا بعد ما كان خضرًا نضرًا، ثم يكون بعد ذلك كله حطامًا، أي يصير يبسًا متحطمًا، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه، غضًا طريًا لين الأعطاف بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير .. كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤)

ولما كـان هذا المثل دالاً على زوال الدنيـا وانقـضـائهـا وفراغهـا لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا مـحالة، حذر من أمرها ورغب فـيها من الخيـر، فقال: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: ليس في الآخرة الآتيـة القريبة إلا إمـا هذا وإما هذا: إما عذاب شديد وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي. هي متاع فانٍ غار لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معـاد وراءها، وهي في الحقيقة حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة.

- عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**»[1].

- وعن المسـتورد بن شـداد ﷺ قـال: قال رسـول الله ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع؟**»[2].

---

(١) متفق عليه. (٢) رواه مسلم.

ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**» (متفق عليه).

ـ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**» (رواه مسلم).

وصدق ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٢٤).

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ أي: نبين الحجج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فيقرون بهذا المثل في زوال الدنيا عن أهلها سريعًا مع اغترارهم بها وتمكنهم وثقتهم بمواعيدها وتفلتها عنهم، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها.

- روى الترمذي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«من كانت الآخرة همه: جعل الله غناه في قلبه، وجمع شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همه: جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»**. وقال بعض العلماء: إنما يحصل الهم والغم من جهتين: التقصير في الطاعة، والحرص على الدنيا.

٤- قلة الحياء من الحق والخلق

* قال الحافظ ابن حجر: الحياء خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق[1].

* وقال ابن القيم - رحمه الله -: الحياء مشتق من الحياة، والغيث يسمى حيًا - بالقصر - لأنه به حياة الأرض والنبات والدواب، وكذلك سميت بالحياة حياة الدنيا والآخرة، فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة[2].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٦٨). (٢) «الداء والدواء» (٩٦).

النظرة اللغوية لمعنى الحياء تشير إلى بعد آخر هو العلاقة اللفظية الواضحة بين الحياء والحيا والحياة، إذ الحياء مدد للفضائل والقيم، كما أن الحيا هو المطر يحيي الأرض وينشر الخير الخصب، وإذا كانت الحياة تعني الحيوية والعطاء والنمو والتأثير، فإن الحياء يعني ذلك كله بالنسبة للمنهج الأخلاقي في كل أعراف البشر.

(من رياض الصالحين) عن أبي القاسم الجنيد - رحمه الله - قال: الحياء رؤية الآلاء (أي النعم) ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء، والله أعلم.

والحياء خلق كل دين: عن أنس وابن عباس مرفوعًا: **«إن لكل دين خلقًا، وإن خلق الإسلام الحياء»**[1].

فالحياء من أعظم الأخلاق التي يتخلق بها المسلم، بل هو قرين الأعمال جميعًا، ولذلك أكد عليه الإسلام ونبه

---

(١) حسنه الألباني في «صحيح الجامع».

عليه الشرع في مواضع عـديدة، والله تعالى لا يستحي من الحق. وهو قسـمان: غريزي ومكتسب. وكـان رسول الله ﷺ في الغريزي أشد حياءً من العذراء في خدرها، وفي المكتسب في الذروة العليا.

والحيـاء خلق يبـعث على فعل الحـسن وترك القبـيح، ولذلك جعل النبي ﷺ فَـقْد الحياء مسـوغًا لإرتكاب أي منكر .. روى أبو مسـعود البدري مرفـوعًا: **«آخر ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**[١].

ـ وفي رواية للبـخـاري: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**.

الله جل وعلا حيي ستير:

عن يعلى بـن أمـيـة أن رسـول الله ﷺ رأى رجـلاً يغتسل بلا إزار، فصعد المنبـر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخه».

صلى الله عليه وسلم: «إن الله - عز وجل - حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»(1).

- وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»(2).

الحياء ويوم البعث:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «حفاة عراة»، قلت: والنساء؟ قال: «والنساء»، قلت: يا رسول الله، فما يستحيا؟ قال: «يا عائشة، الأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض»(3).

---

(1) أخرجه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».
(2) أخرجه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».
(3) أخرجه البخاري ومسلم.



من فضائل الحياء

الحياء ملك الأخلاق الحميدة، وسلطان الأخلاق الرشيدة، وسيد الأخلاق المجيدة. له حسنات فريدة، وفضائل مديدة، وثمار عديدة .. منها:

١ - الحياء مفتاح كل خير:

في الصحيح عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**. يقول ابن حجر - رحمه الله -: إذا صار الحياء عادة وتخلق به صاحبه يكون سببًا يجلب الخير إليه، فيكون منه الخير بالذات والسبب[1].

الحياء أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه[2]

٢ - الحياء مغلاق كل شر:

في صحيح البخاري عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**.

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٩). (٢) «الداء والدواء» (٩٦)

قال الخطابي: الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث، أن الذي يكف الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء، فإذا تركه صار كالمأمور بارتكاب كل شر[١].

قال ابن القيم: خُلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء[٢].

إن الحياء في حقيقته شجاعة تملأ القلب، فتمسك بتلابيب النفس حتى لا تنغمس في شهواتها وتتورط في هواها وتنطلق تتعدى الحدود وتحطم القيود.

نلاحظ هنا: أن الحياء الحقيقي هو الذي يغلق أمامك كل أبواب الشر ويفتح لك أبواب الخير.

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٥٤٠). (٢) «مفتاح دار السعادة» (٢٢٧).

٣ - الحياء مفتاح لكل الطاعات:

في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».**

- وقد سمي الحياء من الإيمان لكونه باعثًا على فعل الطاعة وحاجزًا عن فعل المعصية، فإن قيل: لم أفرد بالذكر هنا؟ أجيب بأن الحياء كالداعي إلى باقي الشعب أي شعب الإيمان[1].

معنى ذلك: أن الحياء الحقيقي والخالص لله تعالى يحفزك علي فعل باقي شعب الإيمان الكثيرة وكافة الطاعات.

٤ - الحياء مفتاح محبة الله تعالى:

في (صحيح الجامع) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى إذا أنعم على عبد يحب ان**

---

(١) «الفتح» (١/ ٦٨).

يرى أثر النعمة عليه، ويكره البؤس والتباؤس، ويبغض السائل الملحف، ويحب الحيي العفيف المتعفف».

فالله تعالى يحب الحياء، وبالتالي يحب أهل الحياء، ومن أحبه الله تعالى صار سعيدًا في كل حياته وعند مماته، وفي قبره ويوم لقاء الله تعالى.

- وعن أشج بن عصر قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«إن فيك لخلتين يحبهما الله - عَزَّ وجَلَّ -»**، قال: قلت: وماهما؟ قال: **«الحلم والحياء»**، قال: قلت: قديمًا كانت فيَّ أم حديثًا؟ قال: **«قديمًا»**، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله - عَزَّ وجَلَّ -[1].

- وفي رواية عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **«يا أشج، إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والحياء»**[2].

---

(١) إسناده صحيح على شرط الشيخين إلى أشج بني عصر، واسمه المنذر بن عائذ بن المنذر.

(٢) رواه ابن ماجة.

ـ وعند الإمام مسلم في الإيمان، والترمذي في البر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أشج، إن فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله»، قال: وما هما يا رسول الله؟ قال: «الحلم والإناة»، فقال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما، أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك»، فحمد الله.

«الحلم»: أي العقل وتأخير مكافأة الظالم أو العفو عنه أو غير ذلك. «والأناة»: التثبيت وعدم العجلة.

وهذا لا يناقض النهي عن مدح المرء في وجهه؛ لأن ما كان من النبوة فهو وحي، والوحي لا يجوز كتمه، أو أن المصطفى ﷺ علم من حال الأشج أن المدح لا يلحقه من إعجاب فأخبره بأن ذلك مما يحبه الله ليزداد لزومًا ويشكر الله على ما منحه[1].

---

(١) شرح المناوي في «فيض القدير».



- عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»، قيل: إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها»، قيل: إذا كان أحدنا خاليًا؟ قال: «الله أحق أن يستحيا منه من الناس»[1].

قال بشير بن كعب: مكتوب في الحكمة: «إن من الحياء وقارًا، وإن من الحياء سكينة»[2].

٥ - الحياء من مفاتيح الرفعة والبهاء:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه»[3].

* قال القرطبي: من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار، بأن يوقر غيره ويتوقر هو في نفسه[4].

---

(١) أخرجه أحمد، والحاكم، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع».
(٢) أخرجه البخاري في باب الحياء.
(٣) رواه الترمذي. (٤) «الفتح» (١٠/٥٣٨).

ـ قال رسول الله ﷺ : «أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وألين قلوبًا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم»[1] .

٦ ـ الحياء من مفاتيح الأمن يوم القيامة:

في (صحيح البخاري) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[2] .

---

(١) رواه الحافظ العراقي عن أبي هريرة.

(٢) رواه عنه أيضًا: أحمد، والنسائي، والحافظ العراقي، ثم مالك، والترمذي، ومسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري معًا، تصحيح الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ.

ونلاحظ في هذا الحديث أن قوة الحياء الحقيقية متوافرة فيهم أجمعين، ويأتي منهم هذا الرجل الذي تعرض لفتنة عظيمة، ألا وهي فتنة النساء، امرأة كاملة الأوصاف من مال وجمال ومنصب، تدعوه إلى الفاحشة، ولكن قوة الحياء من الله تعالى والنابعة من صدق إيمانه تمنعه، ويقول: إني أخاف الله، فكان الجزاء بأن كرمه الله يوم الفزع الأكبر، فأظله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

قال القرطبي: قوله: «**إني اخاف الله**»، إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله تعالى ويقين وتقوى[1].

٧ـ الحياء من مفاتيح الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة**»[2].

١) «فتح الباري» (٢/ ٦٦٠).
٢) رواه الترمذي، وصححه الألباني.

ـ وعن رَكْبٍ المصري، قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالاً جمعه من غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله»[1].

«أمسك الفضل من قوله»: لم يتكلم إلا قدر الحاجة.

ـ عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟»، قلت: بلى، قال: «هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها»[2].

---

(١) أخرجه الطبراني، والبيهقي. (٢) أخرجه البخاري ومسلم

«امرأة»: قيل اسمها سعيرة الأسدية، وقيل: شقيرة.

«أصرع»: يصيبني الصرع، وهو علة في الجهاز العصبي، تصحبها غيبوبة في العضلات، وقد يكون هذا بسبب احتباس الريح في منافذ الدماغ، وقد يكون بسبب إيذاء الكفرة من الجن.

«أتكشف»: أي فأخشى أن تظهر عورتي وأنا لا أشعر.
«صبرت»: على هذا الابتلاء «ولك الجنة»: أي درجة عالية فيها بمقابل صبرك.

وهذه عبرة للنساء، فهي امرأة رغم مرضها وعذرها سعت واجتهدت في ستر نفسها وبدنها، والعجيب أن نساءً يجتهدون في كشف عوراتهنْ بلا عذر، وأخر يتحجبن بحجاب غير شرعي لتحقيق غرضين:

الأول - ستر الشعر في جميع مواضع الجسم.

الثاني - تجسيم مفاتين الجسم كلٌ في موضعه.

فأيتهما تستحق الجنة؟

وعن عائشة ﵂ قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تبايع النبي ﷺ، فأخذ عليها: ﴿أن لا يُشْرِكْنَ بالله شَيْئًا ولا يَسْرِقْنَ ولا يَزْنينَ﴾ (الممتحنة: ١٢) الآية، فقالت: فوضعت يدها على رأسها حياءً، فأعجب رسول الله ﷺ ما رأى منها، فقالت عائشة: أقري أيتها المرأة، فوالله ما بايعنا إلا على هذا، قالت: فنعم إذا، فبايعها بالآية[1].

مثالية النبي ﷺ في الحياء:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: ٢١).

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر - تبارك وتعالى - الناس بالتأسي بالنبي ﷺ، وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن

---

(١) مسند أحمد بن حنبل

ما معه من الإيمان وخوف الله ورجاء ثوابه وخوف عقابه، يحثه على التأسي برسول الله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

* عند ابن كثير: وإنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام، أو لعلى أدب عظيم.

- سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: «كان خلقه القرآن»، تقول: «كما هو في القرآن».

ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا، سجية له، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل.

- روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

- وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه».

«العذراء»: هي المرأة التي لم تتزوج، وهي شديدة الحياء؛ لأنها لم تتزوج وتعاشر الرجال، فتجدها حيية في خدرها (سترها أو خلوتها)[1].

يقول المناوي: والعذراء في الخلوة يشتد حياؤها أكثر مما يكون خارجه، لكون الخلوة مظنة الفعل بها، فرسول الله ﷺ أشد حياءً منها، أي استحياءً من ربه ومن الخلق. ومحل حيائه في غير الحدود. اهـ.

أما عن تحذيراته ﷺ من محبطات الأعمال ومنها: (قلة الحياء)، فعلنا نلمس ذلك جليًا في بعض ما تقدمه الفضائيات بغرض رفع الحياء وقتل الفضيلة، والسخط على القيم ونشر الرذيلة، ومحاربة التقاليد المحافظة ومهاجمة العفة كنبرة قديمة.

فهذه طبيبة متخصصة، يتضح من طلاقة حديثها مع المذيع الشاب على إحدى الفضائيات أنها من رائدات تمزيق

---

(١) «شرح رياض الصالحين».

برقع الحياء، حيث ساقتها جرؤتها إلى خدش حياء الملايين من المشاهدين، يدور الحديث وعلى الهواء مباشرة حول ظاهرة العجز الجنسي لدى الرجال، ومدى قدرة العضو الذكري هذه الأيام على الانتصاب، ثم تصدم الشباب بتصريحها عن إحصائية تفيد بنزوح هذه الظاهرة إلى الشباب حتى سن ٣٠، وهنا يقاطع المذيع مبتهجًا ليردد بما يفيد سلامته من هذه الانتكاسة!!

ولأنه ﷺ لا ينطق عن الهوي، فقد كان حديثه بليغًا وتعبيره دقيقًا، فلم يجزم عن انعدام الحياء بالكلية، ولكنه ﷺ أخبر بواقعية عن (قلة الحياء) كإحدى الخصال المحبطة للأعمال.

ولقد تحققت نبوءته ﷺ ، فبالإضافة للمثال السابق كظاهرة سلبية نذكر مثالاً آخر كظاهرة إيجابية نلمسها في حياتنا المهنية، فها هن مدرسات مادة العلوم في مدارس البنين يمنعهن الحياء من شرح درس التكاثر،

لتعرض هذا الدرس لخصوصيات جنسية، لذا يلجأن إلى زملائهن من الرجال لشرح مثل هذه الموضوعات . . الأمر الذي إن دل على شيء فإنما يدل على رسوخ الإيمان عند كل من كان الحياء زينتها، وهو خلق المسلمات في كل عصر ومكان.

والأحاديث المؤيدة على ارتباط الحياء بالإيمان عديدة؛ نذكر منها:

* ما رواه مسلم والترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : **«الحياء من الإيمان»**.

* وروى الحاكم وابن وهب عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : **«الحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»**.

* وعند ابن ماجه والحاكم وابن وهب عن أبي بكرة، والطبراني وابن وهب عن عمران بن حصين، والترمذي والحاكم وابن وهب عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ

قال: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار».

* وعند أحمد والترمذي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه».

* وروى ابن ماجة عن أنس وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لكل دين خلقًا، وإن خلق الإسلام الحياء».

جامع أوصاف الحياء

وإذا كان الحياء من أعظم الأخلاق التي يتخلق بها المسلم، فهو موجود في فطرة الإنسان، ويحتاج إلى أن ننميه في أقوالنا وأفعالنا، وذلك عن طريق: **جامع أوصاف الحياء:**

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استحيوا من الله تعالى حق الحياء»، قال: قلنا: يا رسول

الله، إنَّا نستحي والحمد لله. قال. «ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[١].

فالحياء من الله تعالى: «أن تحفظ الرأس وما وعى»: يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات، «وحفظ البطن وما حوى»: يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله، ويتضمن أيضًا حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب، ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ اللسان والفرج[٢].

كما جاء في قوله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»[٣].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، وحسنه.
(٢) «جامع العلوم والحكم» (٢٠٦).
(٣) رواه البخاري عن سهل بن معاذ.

والمقصود: لا تنطق إلا بخير ولا تأكل إلا من حلال، وأن تصون فرجك عن الفواحش، وتستر عورتك عن العيون، فإنك إن فعلت ذلك ضمن لك المصطفى ﷺ دخول الجنة.

* وفي شرح المناوي: «استحيوا من الله حق الحياء»: بترك الشهوات والنهمات، وتحمل المكاره على النفس، حتي تصير مدبوغة، فعندها تطهر الأخلاق وتشرق أنوار السماء في صدر العبد، ويقرر علمه، فيعيش غنيًا بالله ما عاش.

* قال سفيان بن عيينة: الحياء أخف التقوى، ولا يخاف العبد حتى يستحي، وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلا من الحياء؟

وقد تضمن ذلك كله قوله: «وليذكر الموت والبلى» لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية وأعضاؤه متمزقة، هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة، وعمل على إجلال الله وتعظيمه، فمن أراد الله فليرفض

جميع ما سواه استحياءً منه، بحيث لا يرى إلا إياه، والحياء مراتب: أعلاها ـ الاستحياء من الله تعالى ظاهرًا وباطنًا، وهو مقام المراقبة الموصل إلى مقام المشاهدة. اهـ.

٥ـ طول الأمل

طول الأمل بالتحريك رجاء ما تحبه النفس، وذلك لأنه إذا آنس بالدنيا ولذتها ثقل عليه فراقها، وأقلع عن التفكير في الموت الذي هو سبب مفارقتها، فيمني نفسه أبدًا بما يوافق مرادها، وهو البقاء في الدنيا . . فلا يزال كذلك لا يفرغ من أمر من أمور الدنيا يشغله إلا علق بتمام آخر إلى أن تخطفه منيته في وقت لا يحتسبه.

فمن ثم خاف المصطفى ﷺ عليهم بقوله: **«اخوف ما أخاف على أمتي: الهوى وطول الأمل»**[1].

---

(١) رواه ابن عدي عن جابر، أيضًا الحاكم العراقي وأبو نعيم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

زاد الحاكم: أما الهوى فيصد عن سبيل الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة.

قال الحراني أكبر الهم والإهتمام إنما هو من طول الأمل. فلأجله يتكلف الأعمال والأشغال، ويجمع ويدخر الأموال ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ...﴾ (الهمزة:٢). ونبه بقوله ﷺ «وطول الأمل» على أن المذموم الاسترسال فيه وعدم الاستعداد للآخرة، أما أصله فلا ذم فيه، إذ لولاه لم يتهن أحد بعيش، ولولاه لم يصنف العلماء .. فالحكمة تقتضي شمول الأمل لعمارة الدنيا، فلولاه لاشتغل الناس بأنفسهم ولوقفت الألسن والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم[١].

- وروى ابن عدي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أربع من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، والحرص، وطول الأمل».

(١) «شرح فيض القدير»

«جمـود العين»: قلة دمعـها، كناية عن قسـوة القلـب، أي غلظته وشـدته وصلابته في غـيرالله. شكى رجل إلى الحسن البصري قسـوة قلبه فقال: **«عليك بمجالسة الذكر والإحسان»**.

«والحرص»: أي الرغبة في الدنيا والإنهـماك في تحصيلها وطلب الازدياد منها. والحرص يحتاجه الإنسان ولكن بقدر معلوم، فإذا تعدى الحد المحدود فقد أفسد دينه.

- وروى أحمد فـي (الزهد) والطيالسي وابن وهب عن ابن عمرو بن العـاص ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: **«صـلاح هـذه الأمـة بالزهـد واليـقـين، ويهلك آخـرها بالبـخل والأمل»**.

قـال الثوري: قـصر الأمل الـذي هو الزهد ليس بلبس العبـاءة ولا بأكل الخشن. وقـالوا: من قصر أمـله قل همه وتنور قلبـه؛ لأنه إذا استحـضر الموت اجـتهد فـي الطاعة ورضي بما قل.

وإذا فقد الناس اليقين ساد ظنهم بربهم، فبخلوا وتلذذوا بشهوات الدنـيا، فحشوا أنفـسهم بطول الأمل ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ (النساء: ١٢٠)، والمراد غلبة البخل والأمل في آخر الزمـان، يكون من الأسباب المؤدية للهـلاك بكثرة الجـمع والحرص وحب الاسـتئـثـار بالمال المؤدي إلى الفتن والحروب والقتل وغير ذلك.

قال الطيبي: أراد باليـقين تيقن أن الله هو الرزاق المتكفل للأرزاق. ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦)، فمن تيـقن هذه في الدنيا لم يبخل الآن، البـخيل إنما يمسك المال لطول الأمل وعدم التيقن.

- وروى أحمـد والحافظ العراقي والنـسائي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يهرم ابن آدم ويبـقى معه اثنتان: الحرص والأمل»

في ذكر تلبيس إبليس بطول الأمل

قـال ابن الجوزي - رحـمـه الله -: كم خطر على قلب يهـودي ونصرانـي حب الإسلام، فـلا يزال إبليس يثبطه ويقول لا تعجل وتمهل في النظر، فيـسوفه حتى يموت على كفره، وكـذلك يسوف العاصي بالتوبة، فيـجعل له غرض من الشهوات ويمنيه الإنابة.

وكم من عـازم على الجـد سـوفـه
وكم سـاع إلى فـضـيلة ثبطه

فلربما عـزم الفقـيه على إعـادة درسه، فـقال: استرح ساعـة. أو انتبه العـابد في الليل يصلي، فقـال له: عليك وقت. ولا يزال يحبب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل.

فـينبغي للحـازم أن يعـمل على الحزم، والحـزم تدارك الوقت وترك التسـوف والإعراض عن الأمل، فـإن المخوف

لا يؤمن، والفوات لا يبعث، وسبب كل تقصير في خير أو ميل إلى شر هو طول الأمل، فإن الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والإقبال على الخير، إلا أنه يعد نفسه بذلك. ولا ريب أنه من أمل أن يمشي بالنهار سار سيرًا فاترًا، ومن أمل أن يصبح .. عمل في الليل عملاً ضعيفًا. ومن صوّر الموت عاجلاً جد، وقد قال ﷺ: «صل صلاة مودع».

* وقال بعض السلف: «أنذركم (سوف) فإنها أكبر جنود إبليس».

- ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل، كمثل قوم في سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم واشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهبًا للرحيل، وقال المفرط: سأتأهب فربما أقمنا شهرًا، فضرب بوق الرحيل في الحال، فاغتبط المحترز واغتنم الأسف المفرط، فهذا

---

(١) رواه أبو محمد الإبراهيمي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

مثل الناس في الدنيا؛ منهم المستعد المستيقظ، فإذا جاء ملك الموت لم يندم، ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير النّدم وقت الرحلة.

فإذا كان في الطبع حب التواني وطول الأمل، ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما في الطبع صعبت المجاهدة، إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه في صف حرب، وأن عدوه لا يفتر عنه، فإن أفتر في الظاهر بطن له مكيدة، وأقام له كمينًا[1].



(١) «تلبيس إبليس» للحافظ الإمام/ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي.

٦- ظالم لا ينتهي

ظالم لا ينتهي عن ظلمه، فعدم انتهائه عنه يكون سببًا لإحباط عمله

- وفي الحديث القدسي بقول المولى - عَزَّ وجَلَّ -:

«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته محرمًا بينكم، فلا تظالموا...»[1]

- وروى أحمد ومسلم عن وائل بن حجر أن رسول الله ﷺ قال: **«من اقتطع أرضًا ظالمًا؛ لقي الله وهو عليه غضبان»**.

«اقتطع»: أي بالاستيلاء للتملك، أو ليزرعها ويردها.

- وروى أحمد والحافظ العراقي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لينصرن الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًا فلينهه فإنه له نصرة، وإن كان مظلومًا فلينصره»**.

---

(١) رواه مسلم عن أبي ذر.

- وروى الطبراني والضياء المقدسي عن أوس بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال: **«من مشي مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم؛ فقد خرج من الإسلام»**.

المراد: إن استحل الظلم والمعاونة عليه.

- وروى الحاكم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أعان ظالمًا ليدحض بباطله حقًا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله»**.

«ليدحض»: أي ليبطل **«بباطله»** أي بسبب ما ارتكبه من الباطل.

- وروى ابن عساكر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أعان ظالمًا سلطه الله عليه»**. وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ (الأنعام: ١٢٩).

قال سعيد عن قتادة في تفسيرهذه الآية: إنما يولي الله الناس بأعمالهم، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان،

والكافر ولي الكافر أينما كان وحيثما كان .. ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي. وقيل: ﴿بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾، ظالمي الجن وظالمي الإنس.

ـ ومعنى الآية الكريمة: كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس بتلك الطائفة التي أغوتهم من الجن، كذلك نفعل بالظالمين: نسلط بعضهم على بعض، ونهلك بعضهم ببعض، وننتقم من بعضهم ببعض جزاء على ظلمهم وبغيهم.

* قال السعدي في تفسيره: والذنب ذنب الظالم، فهو الذي أدخل الضرر على نفسه وعلى نفسه جنى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت:٤٦)، ومن ذلك: أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم ومنعهم الحقوق الواجبة؛ ولي عليهم ظلمة يسومونهم سوء العذاب ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله وحقوق عباده، على وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين.

كما أن العباد إذا صلحوا واستقاموا أصلح الله رعاتهم وجعلهم أئمة عدل وإنصاف، لا ولاة ظلم واعتساف.

- وروى الترمذي وابن ماجه والحافظ العراقي عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»**.

«ليملي»: أي ليمهل، والإملاء: الإمهال والتأخير وإطالة العمر **«للظالم»** زيادةً في استدراجه ليطول عمره ويكثر ظلمه، فيزداد عقابه، فإمهاله عين عقابه. ﴿**إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا**﴾ (آل عمران: ١٧٨).

ومنها: الحلف في البيع وإن كان صادقًا:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة»**[١].

«ينفق»: أي يروج للبيع.

---

(١) متفق عليه.

«ممحقة للبركة»: أي مذهبة للبركة، بمعنى نقصها أو ذهابها بوجه ما من تلف أو صرف فيما لا ينفع. والمراد من من محو البركة: عدم النفع به دنيا ولا دينًا، حالاً أو مالاً أو أعم.

قال الراغب: فحق المسلم أن يتحاشى من الاستعانة باليمين في الحلف وأن يتحقق قدر المقسم به، ويعلم أن الأغراض الدنيوية أخس من أن يفزع فيها إلى الحلف بالله.

ـ وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل. ورجل بايع رجلاً سلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك. ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفَّى وإن لم يعطه منها لم يَفِ»**[1].

وخص العصر لكونه وقت نزول الملائكة لرفع أعمال

---

(١) متفق عليه.

النهار، وإذا حلف كـاذبًا في ذلك الوقت ختم عـمل نهاره بعمل سيء، فكان جديرًا بالإبعاد والطرد عن رب العباد.

- وروى الترمـذي عن ابن مسعـود أن رسول الله ﷺ قال: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله يوم القيامة في عنقه شجاعًا أقرع، ومن اقتطع مال أخيه المسلم بيمين لقي الله وهو عليه غضبان».

- وعن الأشـعث بن قيس وابن مـسعـود أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان». قال: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقهُ من كتاب الله - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٧٧)(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد.

قوله: «يمين صبر»: هي التي تلزم تجبر حالفها عليها حال كونه. «يقتطع بها» أي بسبب اليمين «مال»، وفي رواية: «حق امرئ».

قال المناوي: وهي بالترجيح أحق، لعمومها وشمولها غير المال، «فهو فيها فاجر» أي كاذب. قال القاضي: أقام الفجور مكان الكذب ليدل على أنه من أنواعه.

- وفي الحديث عن أبي ذر مرفوعًا: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»، قلت: يا رسول الله، من هم؟ خسروا وخابوا، قال: وأعاده رسول الله ثلاث مرات، قال: «المسبل، والمُنَفِّق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان».

- وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم الله عليه الجنة»، فقال له

رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: **«وإن كان قضيبًا من أراك»**[١].

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»**[٢].

- وفي رواية له: إن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: **«الإشراك بالله»**، قال: ثم ماذا؟ قال: **«اليمين الغموس»**، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: **«الذي يقتطع مال امرئ مسلم»**. يعني بيمين هو فيها كاذب.

- وعن قيس بن أبي غرزة أن رسول الله ﷺ قال: **«يا معشر التجار، إن هذا البيع يحضره اللغو والحلف، فشوبوه بالصدقة»**[٣].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.

أعمال معلقة على الشرط

- روى الحاكم في البر والصلة عن ابن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤسهما: عبد آبق من مواليه حتى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع»**

عبد آبق: أي هارب من مالكيه من غير عذر شرعي.

«امرأة عصت زوجها»: بنشوز أو غيره مما تجب عليها أن تطيعه. فإباقة العبد ونشوز الزوجة بلا عذر كبيرة.

قال في المهذب: هذا الحديث يفيد أن منع الحقوق (في الأبدان كانت أو في الأموال) يوجب سخط الله.

- وروى الترمذي عن أبي إمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون»**.

ومعنى **«ساخط»**: أي غاضب وكاره وغير راض.

- وروى الخطيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة خرجت من بيتها بغير اذن زوجها؛ كانت في سخط الله تعالى حتى ترجع إلى بيتها او يرضى عنها زوجها».

- وروى ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من أعان على خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع».

«من أعان على خصومة بظلم»، ولفظ رواية الحاكم «بغير حق»: لم يزل في غضب الله الشديد حتى يقلع مما هو عليه من الإعانة. وهذا وعيد شديد يفيد أنها كبيرة، ولذلك عده الذهبي من الكبائر.

- وروى الترمذي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

التحذير من ارتكاب
ما نهى الله عز وجل ورسوله ﷺ عنه

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

أي فليحذر وليخش من خالف شريعة رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك.

- روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : **«مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها»**، قال: **«فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني وتقتحمون فيها»**[1] .

- وعن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها»**[2] .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن الله تعالى يغار، وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه»**[3] .

---

(١) أخرجاه من حديث عبد الرازق.

(٢) رواه الدارقطني وغيره. (٣) متفق عليه.

ـ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»[(١)].

ـ وروى ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والكبر، فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم. وإياكم والحرص، فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة. وإياكم والحسد، فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً، فهو أصل كل خطيئة».

ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن وهب.

(٢) رواه أبو داود، والنسائي بأسانيد صحيحة.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نَقَصَتْ صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله - عَزَّ وجَلَّ -»[1].

- وعن أبي كبشة عمر بن سعد الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها - وأحدثكم حديثا فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً. فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علما، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم

(١) رواه مسلم.

لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فوزرهما سواء»[(١)].

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»[(٢)].

- وفي رواية الإمام أحمد: «أوشك الله له بالغنى إما بموت آجل أو غنى عاجل».

«من أصابته فاقة»: أي شدة حاجة.

«فأنزلها بالناس»: أي عرضها عليهم وسألهم مدخلته.

«لم تسد فاقته»: لتركه القادر على حوائج جميع الخلق الذي لا يغلق بابه، وقصد من يعجز عن جلب نفع نفسه ودفع ضرها. «أوشك الله له بالغنى»: أي أسرع غناه وعجله.

---

(١) رواه الترمذي وقال: «حديث حسن صحيح».
(٢) رواه أبو داود، والترمذي.

ـ وعن أبي الجعد الضمري (وله صحبة) أن رسول الله ﷺ قال: **«من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها؛ طبع الله على قلبه»**[١].

«طبع الله على قلبه»: أي ختم عليه وغشاه ومنعه ألطافه، وجعل فيه الجهل والجفاء والقسوة، أو صير قلبه قلب منافق[٢].

* يقول العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ: فالواجب على جميع المكلفين من المسلمين وغيرهم التوبة إلى الله سبحانه والاستقامة على دينه، والحذر من كل ما نهى عنه من الشرك والمعاصي، حتى تحصل لهم العافية والنجاة في الدنيا والآخرة من جميع الشرور، وحتى يدفع الله عنهم كل بلاء ويمنحهم كل خير؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم

---

(١) رواه الخمسة. (٢) شرح المناوي.

بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ (الأعراف:٩٦)، وقال تعالى في أهل الكتاب: ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ (المائدة:٦٦).

ثم يقول سماحة الشيخ: ومن أسباب العافية والسلامة من كل سوء مبادرة ولاة الأمور بالأخذ على أيدي السفهاء وإلزامهم بالحق وتحكيم شرع الله فيهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ (التوبة:٧١)، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ (الحج: ٤٠-٤١)، وقال سبحانه: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لا

يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٢-٣)، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقال ﷺ: **«من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»**[١] متفق على صحته.

وقال ﷺ: **«من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**[٢]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

والله تعالى المسئول أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يمنحهم الاستقامة عليه والتوبة إلى الله من جميع الذنوب، وأن يصلح ولاة أمر المسلمين جميعًا، وأن ينصر بهم الحق وأن يخذل بهم

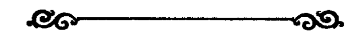
---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

الباطل، وأن يوفقهم لتحكيم شريعة الله في عباده، وأن يعيدهم وجميع المسلمين من مضلات الفتن ونزغات الشيطان، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلي الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين[١]



(١) من نصائح الشيخ عبد العزيز بن باز، «مجلة البحوث الإسلامية» (١٤١٨هـ)

كلمة الختام

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلاة وسلامًا على خير من وعى ودعا.

وبعد..

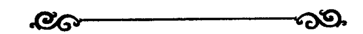
فإن الأمر بفضل الله وهدايته لا يحتاج إلى كثرة كلام، ولا إلى مزيد تعليق، فالرسالة مع صغرها واضحة المعنى وشاملة المفهوم، لا يتعثر قارئها بتوفيق من الله - عَزَّ وجَلَّ - في استيعاب مخزاها والعمل بمقتضاها للاحتراز من الانزلاق في محبط من المحبطات التي ذكرناها.

كل ما يحتاجه المرء هو: صدق النية والإخلاص في العمل وخشية الله في السر والعلن.

عافانا الله من الوقوع في الزلل، والتمسح بالعلل،

وضلال الملل. ونسأله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجازي خيرًا كل من ساهم في إخراج هذه الرسالة لنفع المسلمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



الفهرس

الموضوع	صفحة

الموضوع | صفحة